أهمية الرضاعة الطبيعية

دينيًا وصحيًا

تأليف

الدكتور السيد عبد الحكيم السيد عبد الله

معهد البحوث والدراسات العربية

تقديم

الدكتور أحمد مصطفى عيسى

أستاذ طب الأطفال جامعة الأزهر

ورئيس جمعية أصدقاء لبن الأم المصرية

الدكتور فؤاد على البحيرى

أستاذ ورئيس قسم طب الأطفال

كلية الطب - جامعة الأزهر

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر المجانية عن ذى القعدة

١٤٠٦ هـ

S
6

أهمية الرضاعة الطبيعية

دينيًا وصحيًا

تأليف

الدكتور السيد عبد الحكيم السيد عبد الله

معهد البحوث والدراسات العربية

تقديم

الدكتور أحمد مصطفى عيسى

أستاذ طب الأطفال جامعة الأزهر

[illegible] لبن الأم العربية

الدكتور فؤاد علي البحيري

أستاذ ورئيس قسم طب الأطفال

كلية الطب - جامعة الأزهر

رئيس التحرير

د. علي أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر المجانية عن ذي القعدة

١٤٠٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

للأستاذ الدكتور/أحمد مصطفى عيسى
أستاذ طب الأطفال ـ جامعة الأزهر
ورئيس جمعية أصدقاء لبن الأم المصرية

فى شهر مايو عام ١٩٧٧ ، كان لى حظ حضـــور المؤتمر السنوى لجمعية طب الأطفال البريطانيـة ، المنعقد ذلك العام فى مدينة يوركشـير ، ولأطبـاء الأطفال البريطانيين تقليد قـديم ، وهو أن يجتمع جميع أطباء الأطفـال كل عام فى احـدى عواصـم المقاطعات البريطانية ، لاستعراض حصاد السنة ، ومتابعة الأبحاث الجـارية فى مختـلف المعـاهد والجامعات ، داخل المملكة ، أو ما وراء البحار ، من دول « الكمنولث » • ومما شد انتباهى ، نتائج أحد الأبحاث التى أجراها طبيب انجليزى فى نيجيريا ، ومن المعروف ان البعثات الطبية الموفدة الى البلاد النامية ، لها اهتمامات أخرى غير البحوث الطبية ،

وأهمها التبشير وخلافه • وقد جاء في هذه الدراسة ما يفيد بأن السيدات في نيجيريا ، يحافظن على الرضاعة الطبيعية وتغذية أطفالهن لمدة عامين باللبن الآدمي •وأشارت الدراسة الى أن الرضع الذين لا يفطمون قبل سنتين من العمر ، يتمتعون بصحة جيدة، ويقاومون الكثير من أمراض الطفولة • ثم تبعه بحث آخر قادم من بنجلاديش ، وثالث من سيلان ، وهي جميعا تشير الى أن عمر الفطام في هذه البلدان ، لا يقل عن عامين ، وأنه لولا استمرار الرضاعة الطبيعية طوال هذه الفترة ، لما قاوم الأطفال المساكين أمراض سوء التغذية ، والأوبئة ، الشائعة في هذه البلدان الفقيرة •

وعندما أعطيت لي الكلمة ، أوضحت أن هذه البلدان التي أجريت فيها البحوث ، تتمتع بالعقيدة الاسلامية ، حيث أن القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، يوصيان باستمرارية الرضاعة ، والحضانة، بمعرفة الأم ، لمدة لا تقل عن عامين • وهو نفس الأسلوب المتبع عندنا في مصر ، وباقي العالم الاسلامي • ولولا التمسك بهذه العادة الاسلامية

الحميدة ، ما تبقى على ظهر الأرض من أطفالنا أحد ممن يعيش ، فى أسوأ الظروف الاقتصادية ، والاجتماعية •

حينئذ أحسست باعجاب المئات من الباحثين بهذا التشريع ، الحكيم الواقعى ، واجماع المناقشين على أن الأسلوب الاسلامى فى تغذية الطفل وحضانته ، هو أنسب الأساليب فى التربية ، وأحسست بالزهو والفخار ، عندما نص على ذلك فى توصيات المؤتمر •

والواقع أن تغذية الطفل ، وتنميته ، كانت دائما شغلى الشاغل ، عندما ألمس أن غالبية مرضى سوء التغذية ،و النزلات المعوية ، والأمراض الأخرى الفتاكة ، هم من بين الأطفال الذين حرموا لبن أمهاتهم لسبب ، أو لآخر •

حينئذ بدأ موضوع الرضاعة الطبيعية ، يفرض نفسه علينا فى جميع اجتماعات وندوات جمعية طب الأطفال المصرية ، ما من مرض وبيل ، ناقشته أبحاث الجمعية الا اكتشفنا أن سببه الرئيسى هو استعمال الألبان البديلة للبن الأم ، وما من غذاء بديل ،

حاولنا أن نقيم مزاياه ، وجدناه يدانى أو يقـارب لبن الأم ٠

ومن المعروف أن جمعية طب الأطفـال المصرية ، تناقش كل عدة أسابيع ، احدى مشاكل الطفـولة فى مصر ، وما من مشكلة ، الا اكتشفنا أن الرضاعة من ثدى الأم ، فيها جـزء كبير من الحـل ، ان لم يكن الحـل كله ٠

مشكلة الحساسية عند الأطفال كالاكزيما والربو ٠

علاجها : رضاعة ثدى الأم ٠

مشكلة سوء التغذية والهزال والتخلف ٠

علاجها : فى ثدى الأمهات ٠

مشكلة الاسهال والجفاف ،

علاجهما ، والوقاية منهما : فى لبن الأم ٠

مشكلة الحميات وما يتبعها من مضاعفات ،

علاجها : فى لبن الأم ٠

مشكلة أمراض التمثيل الغذائى ، والعيوب الخلقية ، لا نظير للبن الأم ، فى تغذية هؤلاء الأطفال ٠

مشكلة عيوب القلب الخلقية ، وهبوط القلب ،

أيضا لا مثيل للبن الأم ، فى هذه الحالات •
وغير ذلك كثير •••

وهكذا من أواخر السبعينيات ، الى وقتنا هـذا ، وموضوع الرضاعة الطبيعية ، هو القاسم المشـترك الأعظم ، لندوات أطباء الأطفال ، والولادة ،والصحة العامة •

وقد كان أكثرنا حماسة ، وأشـدنا انفعالا ، حينما يذكر لفظ «لبن الأم» ، هو الزميل الكبير الدكتور / السـيد عبد الله ، رئيس قسـم الأطفال بمستشفى دمياط العام ، الذى أخذ على عاتقه ، تسجيل جمعية جديدة باسم « أصدقاء لبن الأم المصرية » ، وبـدأ نشاطه بكل حماس ، فى مستشفاه ، وعيادته الخاصة، وأصبح الموضـوع يسيطر على كل حواسـه ويغمر قلبه ، ويطغى على كل تفكير سواه •

ومن المعروف عن الدكتور السـيد عبد الله ، أنه كان ثوريا فى طبعه ، وكان فى مقدمة صفوف الطلاب ، التى تجـاهد ضـد انحـراف القصر والأحـزاب والاستعمار ، وزملاؤه فى الجهاد ، ممن يتسـنمون

الآن أعلى المناصب ، يذكرون له مواقفه الشجاعة ، ورجولته الجريئة ، فى مواجهة الظلم ، على ساحة كلية الطب ، أو الشارع السياسى العريض ، المتلاطم الأمواج ٠

ولكنه سقط شهيداً ٠٠ فجأة ٠٠ بعد أن أيقظ الجمرة ، فى قلب كل مصرى مخلص ، من أطباء الأطفال ٠

وأصبح لجمعية أصدقاء لبن الأم المصرية ، اليوم، صدى مسموع فى جميع أرجاء مصر ، والوطن العربى ، كأول جمعية من نوعها ، فى العالم الاسلامى، ورابع جمعية فى العالم ٠

وبعد أن كان موضوع لبن الأم يناقش داخل قاعات الاجتماعات ، صار اليوم ، يناقش على المستوى الجماهيرى ، وبواسطة أجهزة الاعلام المختلفة ٠

ولعل الكتاب الذى بين يدى القارىء العزيز ، مثال حى لما أقول ، فالموضوع ليس من خصوصيات الطب، وانما هو موضوع يهم كل مفكر ، ويؤرق وجدان كل وطنى محب لمصر ٠

وان كان الكتاب المقدم من الأستاذ الدكتور السيد عبد الحكيم ، قد عنى فى المقام الأول بالناحية الدينية والفقهية ، فانــه دعامة قوية ، لكل الأطبــاء المهتمين بصحة الطفل والأم ، فالدعوة الى الرضاعة الطبيعية، تقوم على ركيزتين أساسيتين أو دعامتين رئيسيتين،

أولاهما : الناحية الدينية •

وثانيتهما : الناحية العلمية •

وهذه هى رسالة جمعية أصدقاء لبن الأم المصرية، التى تهتدى فى أسلوب عملها ، بهــدى القرآن الكريم والســنة النبــوية الشريفــة • وتقتفى آثار العلم الصحيح ، النقى من كل غرض ، أو شائبة •

لذلك سعدت سعادة غامرة ، عندما سمعت أن أحد أساتذة القانون والشريعة ، ســوف يتناول موضوع الرضــاعة الطبيعية ، بالكتابة والنشر على جمــاهير القراء ، فسعيت اليه حتى ســعدت بلقائه ، فرأيت انســانا يؤمن بما يكتب ، ولمن يكتب ، وشــكرت له عرضه ، بأن يخصص بعض صفحات الكتاب ، لتقديم جمعية أصدقاء لبن الأم المصرية ، للقارىء العزيز •

وانني ، اذ أشــكر له هــذه المكرمة ، أثنى عــلى

مبادرته ، فى تناول موضوع حيوى وحساس ، يمس صحة أطفالنا ، الجسمانية ، والعقلية ، ويمس اقتصاد بلادنا ، ويهدد استقلالها •

قد يتساءل بعض القراء ، كيف يتأثر الاقتصاد والاستقلال ، بمشكلة صحية •• ؟

اننى ببساطة شديدة ، أقول فى ايجاز شديد : ان استهلاك مصر ، من الألبان الصناعية المستوردة من الخارج ، يتجاوز عشرات الملايين ، وكثيرا ما ينقطع الاستيراد لسبب ، أو لآخر ، وتحدث مجاعة عند الأطفال المدمنين للألبان المستوردة ، وكثيرا ماترضخ الدولة ، لشروط شركات الألبان التعسفية •

أى أننا نشترى بالحاح ، وبتوسل وتسول ما يضر أبناءنا ، ويودى بصحتهم ، ويتطور معهم ، فى مستقبل حياتهم ، بالضعف والوهن ، أثناء سنوات الشباب والانتاج •

ولن أعدد للقارىء أضرار الألبان الصناعية ، ولكننى ألفت نظره ، الى أن معظم مرضى مستشفيات الأطفال ، من ضحايا الألبان الصناعية ، وللقارىء أن

يحسب ، ويقــدر ، تكاليف عــلاج هؤلاء المرضى ، وما يسببه مرضهم ، فى حــالة الأسرة النفســية ، والاقتصادية ، وكيفية أداء الزوج ، أو الزوجة للعمل المنوط بأحدهما ، أو كليهما ٠

اننى أنبــه القــارىء ، الى أن شركات الألبــان الصناعية ، فى العصر الحالى ، أصبحت تنافس ، ان لم تكن متفوقة ، على معظم الشركات المنتجة للسلاح ٠ فهى تشجع كل الوســائل ، التى تعــوق الرضــاعة الطبيعية ، وتثبط كل دعوة نحو العودة الى الطبيعة ، والفطرة، تماما ، مثلما تفعل شركات الســلاح ، التى توقد الحروب فى كل بقعة ، من بقاع العالم النامى ، المسكين ٠

ان الدعوة الى العودة للرضاعة الطبيعية ، سوف تنقذ مصر من كثير من المشاكل :

* مشاكل علاج مضاعفات الألبان الصناعية ٠
* توفير الملايين من العملة الصعبة ، التى نحتاجها فى اعادة بناء مصرنا العزيزة ٠
* تكوين جيل من الأطفال المتمتع بحنان الأمومة٠

* الحصول على شباب قوى ، يتمتع بالانتماء الى أسرته ، ووطنه ، وليس محروما من ينبـــوع الحنان من صدر أمه ٠

* النهوض بالمستوى الفكرى بأطفال المدارس ، حيث ان لبن الأم ، هو المصدر الوحيد ، المحتوى على عناصر تنمية المخ والذكاء ٠

* الاستقلال الاقتصادى ، وعدم الاعتماد على الغير ، فاليد العليا خير من اليد السفلى ٠

دكتور/أحمد مصطفى عيسى

تقديم

للأستاذ الدكتور/فؤاد على البحيرى
أستاذ ورئيس قسم طب الأطفال
كلية الطب ــ جامعة الأزهر

منــذ أن خلق الله الأرض ومن عليها ، يسر لبنى البشر احدى فضائله ، ألا وهى الرضاعة الطبيعية ، من ثدى الأمهات ، والتى تعتبر غذاء كاملا ، ميسرا ، وحاميا للرضيع ، فى خطواته الأولى فى الحياة ، وقد جاء وقت من الأوقات ، ســادت فيــه بدعة الألبان البديلة للبن الأم ، وانتشرت الدعــاية لهــا ، حتى انحسرت الرضاعة الطبيعية ، أو كادت ، وقــد روج المروجون لهذه الألبان الصناعية ، بأنها تحتوى على مزيد من الفيتامينات ، وأنها تعفى الأم من التقيــد الزمنى للرضاعة ، وغير ذلك من الأسباب الواهية •

وفى أواخر السبعينيات ، بــدأ الاتجــاه يعــود تدريجيا ، الى الرضاعة المثلى ، الا وهى الرضــاعة الطبيعية •

وقد تكونت جمعية أصدقاء لبن الأم المصرية ، بفضل وعزيمة المرحوم الدكتور السيد عبد الله ،الذى بذل الكثير من الجهد ، حتى بدأ النشاط العلمى للجمعية ، يزداد ويتقدم •

وانه ليسعدنى ، أن ألمس ، جوانب أخرى ، لتشجيع الرضاعة الطبيعية — غير الجانب الطبى — قد بدأ الباحثون يتناولونها •

واننى ، اذ أقدم كتاب الدكتور السيد عبد الحكيم السيد عبد الله ، الذى لمس بعناية ، وسلاسة ، وعمق ، الموضوع الدينى ، فى مجال تشجيع الرضاعة الطبيعية ، لأرجو من الكتاب الآخرين ، أن يقتدوا به، ويتناولوا الجوانب الأخرى ، مثل الناحية الاجتماعية، والناحية الاقتصادية ، وغيرهما •

وفقنا الله جميعا ، الى خدمة أطفالنا ، اذ هم جيل الحاضر وأمل المستقبل •

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

د• فؤاد على البحيرى

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبع هداه الى يوم الدين ، وبعد :

فالله سبحانه وتعالى ، خلق الذكر والأنثى ، وخلق منهما نسلهما ، جيلا بعد جيل ، لتستمر الحياة على الأرض ، الى أن يشاء الله ، وقد خلق الله لمخلوقاته كلها ، الأسباب التى تكفل لها الحياة والاستمرار فيها ، الى أن تصل للأجل المحدد، الذى كتبه الله لها.

والانسان الذى خلقه الله على الأرض ، وجعله خليفته ، وفضله على كثير من خلقه ، حباه الله بعناية ورعاية خاصة ، تزيد على غيره من المخلوقات ، ليقوم بعبادة الله الواحد الأحد ، الذى قدر كل شيء فأحسن تقديره .

ومن مظاهر عناية الله بخلقه ــ وبخاصة الانسان ــ

توفير السبل ، التى تحفظ للجنين حياته ، حتى يحين موعد ولادته، ثم توفير الغذاء المناسب له بعد ولادته، بادرار اللبن من ثدى أمه ، يكون لــه طعاما وشرابا ، يقتاته الى أن يكبر ، ويكتفى بتناول الطعام العادى •

وبالرغم من توفير الله للطفل أفضل وأغذى طعام بعد ولادته ، الا أن البعض ، بدأ فى الفترة الأخيرة ، يسعى الى عدم ارضاع الطفل من لبن الأم ، واعطائه ألبانا صناعية ، لاعتقاده أن هذه الألبان الصــناعية ، تحتوى على عديد من المواد الأفيد صحيا للطفل ، وأن الرضاعة الصــناعية تعطى الحرية للأم ، فى الخروج من البيت فى أى وقت ، ولأى مدة ، دون التأثير على طعام الطفل ، الى غير ذلك من المبررات غير المناسبة التى تؤدى الى الاضرار بالطفل ، وحرمانه من طعامه الذى وهبه الله له ، والذى يحقق له الصحة البدنية ، والنفسية •

وجمعية أصــدقاء لبن الأم المصريــة ، بمستشفى الحسين الجامعى ، بجمهورية مصر العربية ، تحرص بمختلف الوسائل المتاحة ، على بيان أهمية الرضاعة الطبيعية ، وتوضيح الأضرار التى تصيب الطفل والأم

نتيجة ترك الرضـاعة الطبيعية ، والاعتمـاد عـلى الرضاعة الصناعية ، وقد كلفتنى باعداد كتيب ، عن أهمية الرضـاعة الطبيعية ، وبخاصـة من الناحيـة الدينية ، وقد لاقى هذا الطلب استجابة فورية منى ، لسابق تفكيرى فى هذا الموضوع ، لأهميته الفائقة ، رغم اعراض البعض عنه ، لعـدم ادراكهم فوائـده الدينية ، وتأثيره الطيب على الصحة البدنية ،والصحة النفسية ، للأم وللطفل » .

وسنبين باذن الله ، أهمية الرضاعة الطبيعية ،من الناحيتين : الدينية ، والصـحية ، وعيوب الاعتماد على الألبان الصناعية ، أو غيرها ، فى تغذية الطفل .

ولا يفوتنى ، بهذه المناسبة ، أن أوجه الشكر لكل من ساعد فى اخراج هـذا الكتاب سـواء بالفكرة ، أم بالكلمة أم بأى وجه من أوجه المساعدة ، فجزاهم الله جميعا كل خير ووفقنا واياهم الى ما فيه رضاه ، وبالله التوفيق ، انه نعم المولى ، ونعم النصير .

القاهرة فى غرة ربيع الأول ١٤٠٦ هـ ١٤/١١/١٩٨٥م

د. السيد عبد الحكيم السيد عبد الله

أولا : أهمية الرضاعة الطبيعية ..

١ ـ الرضاعة الطبيعية ، من فطرة الله ، ومن أوامره :

الرضاعة من فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لحكم جليلة ، وبها يتحقق الخير للطفل وللوالدين ولغيرهم ، اذ أن الله لا يأمر الا بالحق والصواب والملتزم بأوامر الله يناله الخير ، ويشهد منافع عديدة تعود عليه نتيجة التزامه بها ، أما من يعرض عنها ، فانه يحرم نفسه الخير الذى أعده الله له .

والعاقل من يتحرى دائما أن تكون تصرفاته متفقة مع الحق والصواب ، اذ هما يقودان الى صراط الله المستقيم الذى يؤدى الى النجاة ، فى الحياة الدنيا والآخرة .

وقد أسند الله تعالى الرضاعة الى الوالدة ، لأنها أقدر من غيرها على ذلك ، فقال تعالى : **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة ..) (١) .**

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٣٣ .

فقوله تعالى: (**يرضعن**) خبر ، بمعنى الأمر على الوجوب ، لبعض الوالدات ، وعلى جهة الندب لبعضهن (١) ، لأسباب صحية خاصة بهن ، أو بالطفل ، كما لو كان الرضاع يسبب ضررا للأم ، أو للصغير ، أو كان لبنها قليلا لا يكفيه .

أ ـ آراء الفقهاء فى مدى وجوب الرضاع على الأم :

اختلفت آراء الفقهاء فى مدى وجوب الارضاع على الأم ، وحقها فى تقاضى أجرا عنه ، وسنعرض لذلك ، بشىء من الايجاز فيما يلى :

يتفق الفقهاء على أن الرضاع يجب على الأم ديانة (٢) ، لأن الله تعالى أمر الوالدات بارضاع أولادهن ، فى قوله تعالى : (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين**) ، وان كان الأمر جاء فى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبى جـ ٣ ص ١٦١ .
(٢) الأحوال الشخصية ـ محمد ابو زهرة من ص ٤٧٠ الى ص ٤٧٣ « بتصرف » ـ الأحوال الشخصية (حقوق الأولاد والاقارب) محمد الحسينى الطبعة الثانية سنة ١٩٦٢ ص ١٢٤ .

صورة الخبر ، الا أنه خبر فى معنى الامر ، فعلى الأم أن تقوم بارضاع طفلها وبخاصة « اللبأ » ، وهو أول اللبن النازل بعد الولادة لأن الولد لا يقوى ولا تشتد بنيته ، الا به ، ولتواتر أهل المعرفة والعلم على أهمية « اللبأ » الصحية ، والغذائية للطفل •

كما أنه على الأم — ديانة — أن ترضع طفلها ، بعد ذلك ، من لبنها الذى جعله الله لطفلها غذاء مفيدا ، أفضل من أى غذاء آخر ، سواء أكانت زوجة لأبى الصغير ، أم معتدة منه ، أم أجنبية عنه، فان امتنعت عن ارضاع الطفل ، رغم مقدرتها على ذلك — وثبوت عدم تضررها ، أو تضرر الطفل من ارضاعه بلبنها — فانها تكون آثمة ، أمام الله سبحانه وتعالى ، يحاسبها على امتناعها •

واختلف الفقهاء فى مدى وجوب الرضاعة قضاء على الأم ، وفقا لما يلى : **الرأى الأول : بعض** الفقهاء يرى — كالمالكية (١) — أن الأم ان كانت

---

(١) الأحوال الشخصية (حقوق الأولاد والأقارب) محمد الحسينى ص ١٢٣ بالهامش •

زوجة لأبى الصغير فانه (يجب عليها أن ترضـــع ولدها بلا أجر ، الا اذا كانت عالية القدر ، من طبقة نساؤها لا يرضعن أولادهن بأنفسهن ، فلا يجب عليها ارضاعه ، الا اذا تعينت) (١) •

الرأى الثانى : وبعض الفقهاء ــ كالحنفيـــة والشافعية والحنابلة ــ يرى أن الرضاعة ليســت واجبة قضاء على الأم ، ان كانت زوجـــــة لأبى الصغير ، لأن الرضاعة ، كما أنها حق للأب وللطفل فانها حق للأم ، ولا تجبر الأم على استيفاء حقها ، وبخاصة أن للأم من الشفقة ، والعطف لطفلهــــا مايجعل امتناعها دليلا على عدم قدرتها ، وتضررها صحيا من الرضاعة ، واجبارها على الارضـــــاع ، قد يسبب لها ضررا ، والله نهى عن الاضرار بالأم بسبب الولد ، لقوله تعالى : **(لا تضار والــــدة**

---

(١) تتعين الأم فى عدة حالات كما يلى •
(أ) اذا رفض الرضاع من غير أمه •
(ب) اذا لم يوجد للأب أو للطفل مـال لاســتئجار مرضعة له •
(ج) اذا لم يوجد من يرضعه بغير أجر •
(د) اذا لم يوجد من يرضعه بأجر مع وجود المال مع الأب أو الصغير •

بولدها (١) ، ولا تجبر الأم على ارضاع ولدهـا قضاء ، الا فى حال الضرورة ، أى اذا تعينت •

أما ان كانت الأم أجنبية عن أبى الصغير ، فلا تجبر على الرضاعة (٢) ، الا اذا تعينت ، ولها أن تحصل على أجر الرضاعة من الأب ، ان قامت بها •

ويلاحظ أن الأم ، لم تلزم بالارضاع قضاء فى كل الاحوال ، لان الضرر قد يكون أمرا داخليا غـير ملحوظ ، والغالب أن الأم لاتمتنع عن الارضـاع — مع وجود شفقتها وحنوها عليه — الا لأسباب قوية ، تبرر موقفها •

كما أن الرضاعة قد لاتكون واجبة ديانة عـلى الأم ، اذا كانت تسبب ضررا لها ، أو للطفـل ، لمرضها مرضا معديا ، أو عدم تحملها صحيا للرضاعة لمرضها ببعض الأمراض كالقلب ، مثلا •

وفى الحالات السابقة ، يكون الامتناع عـن

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٣٣ •

(٢) لأن أجرة الارضاع ليست أجرة خالصة أى ليست عوضا خالصا ، بل هى مئونة ونفقة تجب على الأب •

الرضاعة ، لأسباب طارئة تبرره ، انما يبقى حكم الأصل على ماهو عليه ، وفقا لما سبق بيانه .

وقد تكلم القرطبى عن الرضاعة ، وهل هى حق للأم أم عليها ، ومتى يكون ذلك ، فقال : (١)

« ان اللفظ محتمل ، لأنه لو أراد التصريح بكونه عليها ، لقال : وعلى الوالدات رضاع أولادهن ، كما قال تعالى : (**وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن**) (٢) ولكن هو عليها فى حال الزوجية ، وهو عرف يلزم ، اذ قد صار كالشرط ، الا أن تكون شريفة ذات ترفه ، فعرفها ألا ترضع ، وذلك كالشرط ، وعليها ان لم يقبل الولد غيرها واجب ، وهو عليها اذا عدم ، لاختصاصها به » .

ويجب تمكين الأم من ارضاع ابنها ، مادامت ترغب فى ذلك ، سواء كانت زوجة لأبى الصغير ، أم معتدة منه ، أم أجنبية عنه ، رعاية لحقها فى ارضاع ولدها ، « لأنها أكثر الناس شفقة به وحنوا عليه ،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن — القرطبى جـ ٣ ص ١٦١ .
(٢) سورة البقرة ، من الآية ٢٣٣ .

ولأنه جزء منها ، ومن حقها المحافظة على جزئها ، ولأن فى ذلك رعاية لمصلحة الصغير ، فان من مصلحته أن ترضعه أمه ، لأن لبنها أصلح له عادة » (١) •

ب ـ مدة الرضاعة :

من الأهمية بمكان ، تحديد الفترة التى ينبغى للأم أن ترضع خلالها طفلها ، وقد تمت الاشارة الى هذه الفترة ، فى قوله تعالى :

(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) (٢) •

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (٣) •

« •• فانما الرضاعة من المجاعة » أى • أن الرضاعة التى تثبت بها الحرمة ، وتحل بها الخلوة ، هى حيث يكون الرضيع طفلا ، يسد اللبن جوعته • وتحديد العامين فى الآية القرآنية ، وان لم

---

(١) الأحوال الشخصية ـ محمد الحسينى ص ١٢٥ •
(٢) سورة البقرة ، من الآية ٢٣٣ ••
(٣) صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٠٧٨ ـ والمجاعة مفعلة من الجوع •

يكن تحديد ايجاب ، لقوله تعالى : **(لمن أراد أن يتم الرضاعة)** (١) ، وأنه علق اتمام الرضاعة بارادة الوالدين ـ كما فى قوله تعالى : **(فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما)** (١) ـ الا أن المقصود من التحديد الذى ورد فى الاية المشار اليها سالفا ، هو قطع التنازع بين الزوجين اذا تنازعا فى مدة الرضاع ، فان أراد الأب أن يفطمه قبل الحولين ، ولم ترض الام ، لم يكن له ذلك • وكذلك الحال ، لو كان على العكس ، أى أرادت الأم الفطام ، ورفض الأب ، أما اذا اتفقا على أن يفطما الطفل قبل تمام الحولين ، فلهما ذلك •• فالفطام فى أقل من حولين لايجوز ، الا عند رضا الوالدين ، وعند المشاورة مع أرباب التجارب • وذلك لأن الأم قد تمل من الرضاعة ، فتحاول الفطام ، والاب أيضا قد يمل من اعطاء الاجرة على الرضاع ، فقد يحاول الفطام ، دفعا لذلك ، لكنهما قلما يتوافقان على الاضرار بالولد ، لغرض النفس ، ثم بتقدير توافقهما اعتبر المشاورة مع غيرهما ، وعند ذلك يبعد أن تحصل موافقة الكل على مايكون فيه اضرار

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٣٣ •

بالولد ، فعند اتفاق الكل ، يدل على أن الفطام قبل الحولين لا يضره البتة ، فانظر الى احسان اللـــه تعالى بهذا الطفل الصغير ، كم شرط فى جـــواز افطامه من الشرائط ، دفعا للمضار عنه ، ثم عنـــد اجتماع كل هذه الشرائط ، لم يصرح بالاذن بل قال: **(فلا جناح عليهما)** **وهـــذا يدل على أن الانسان** كلما كان أكثر ضعفا ، كانت رحمة الله معه أكثر ، وعنايته به أشد (١) ٠

وقد روى عن ابن عباس ، أنه قال عن التى تضع لستة أشهر : « أنها ترضع حولين كاملين ، فـــان وضعت لسبعة أشهر أرضعت ثلاثة وعشرين شهرا(٢)» وحجة ابن عباس ، قوله تعالى : **(وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)** (٣) وان هذه الآية دلت عـــلى أن زمان هاتين الحالتين ، هو هذا القدر من الزمـــان وقدره ثلاثون شهرا ، فكلما ازداد فى مدة احـــدى الحالتين ، انتقص من مدة الحالة الاخرى ، وقـــال

---

(١) ، (٢) بتصرف من التفسير الكبير الرازى جـ ٦ ص ١١٨ و ص ١٢٣ ٠

(٣) سورة الأحقاف ، من الآية ١٥ ٠

آخرون : الحولان هما المدة اللازمة ، لاتمام رضاع كل مولود •

وقد أكد أيضا ابن كثير ، أهمية اتفـــــاق رأى الوالدين على فطام الطفل ، فقال (١) : « فان اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين ، ورأيا فى ذلك مصلحة له ، وتشاورا فى ذلك ، وأجمعا عليه ، فلا جناح عليهما فى ذلك ، فيؤخذ منه ، أن انفــــراد أحدهما بذلك دون الآخر ، لا يكفى ، ولا يجــوز لواحد منهما أن يستبد بذلك ، من غير مشـــاورة الآخر ، قاله الثورى وغيره ، وهذا فيه احتيـــاط للطفل ، والزام للنظر فى أمره ، وهو من رحمـــة الله بعباده ، حيث حجر على الوالدين فى تربيـــة طفلهما ، وأرشدهما الى ما يصلحهما ، ويصلحه » •

وقد أشار القرطبى (٢) الى أن مدة الرضـــاع التى ذكرت فى القرآن الكريم ، فى قوله تعـالى : « **حولين كاملين** » (٣) ليس المقصود بهـا حولا

---

(١) ابن كثير جـ ١ ص ٢٨٤ •
(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص ١٦١ •
(٣) سورة البقرة ، من الآية ٢٣٣ •

كاملا وبعض حول آخر ؛ لأن القائل قد يقول : « أقمت عند فلان حولين وهو يريد حولا وبعض حول آخر ، قال الله تعالى : « **فمن تعجل فى يومين** » (١) وانما يتعجل فى يوم ، وبعض الثانى » •

ونود أن نذكر فى النهاية ، أن الأمر الذى ورد بالقرآن الكريم ، للوالدات بارضاع أولادهن ، جاء غير قاطع بالوجوب ، رحمة من الله تعالى بالأم والطفل ، مراعاة لبعض العوارض التى قد تطرأ على صحة الأم ، أو ظروفها ، مما سنشير اليه فيما بعد ، كمرضها ، اذ أن الرضاع يكون فى هذه الحالة ـ وغيرها ـ مضرا بالأم وبالطفل ، أو غير متيسر ، لذا فان الأمر بالرضاع لو جاء على سبيل الوجوب ، فى كل الحالات ، لكان فيه مشقة وضرر للأم ، وللطفل ، واكتساب معصية ان لم يتم ارضاع الطفل ، لمخالفة أوامر الله سبحانه وتعالى :

---

(١) سورة البقرة ، من الآية ٢٠٣ •

٢ ـ الرضاعة الطبيعية .. حسن اقتداء :

تكررت الاشارة الى الرضاعة فى القرآن الكريم ، تصريحا أو تلميحا ، فى آيات عديدة ، (١) والمعنى فى هذه الآيات ، فيما يتعلق بالرضاعة ، يشير الى

---

(١) ـ (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) .
سورة البقرة ، من الآية ٢٣٣ .
(حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنـات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ..) .
سورة النساء من الآية ٢٣ .
(.. يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ..)
سورة الحج من الآية ٢ .
(وأوحينا الى أم موسى أن أرضـعيه ..) (وحرمنا عليه المراضع ..) .
سورة القصص ، من الآيتين ٧ ، ١٢ .
(ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين) .
سورة لقمان ، من الآية ١٤ .
(ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) .
سورة الأحقاف من الآية ١٥ .
(.. فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى) .
سورة الطلاق ، من الآية ٦ .

الى عدة أمور منها : مدة الرضاعة ، والرضاعة من الأم ، والمحرمات من الرضاعة ، الى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالرضاعة .

ولنا فى قصة موسى عليه السلام ، العبرة والقدوة الحسنة ، فعند ولادته أوحى الله الى أمه بارضاعه عليه السلام وعندما ألقته فى اليم ، بشرها الله بأنه سيرده اليها ، لترضعه ، وقد حرم الله عليه المراضع ، فرفض موسى عليه السلام ، أن يرضع من أية مرضعة ، وقد يسر الله ، بعد ذلك ، الأسباب التى أدت الى عودة أم موسى اليه لترضعه ، ويتحقق وعد الله سبحانه وتعالى ، فان قوله الحق ، وهو علام الغيوب .

فقصة موسى عليه السلام ، وغيرها من القصص التى وردت فى القرآن الكريم ، فيها العبر ، وتدعو للتأمل والتفكر والاقتداء والمراد من ذكر هذه القصص ، هو أن يعتبر بها العاقل الذى يتفكر وينتفع بمعرفته ، وقد قال الله تعالى عن ذلك : **« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه**

وتفصيل كل شيء وهـــدى ورحمـــة لقــوم يؤمنون » (١) ٠

*** بديل الأم مرضعة أخرى :**

باستقراء آيات القرآن الكريم ، نجد أنهـــا تشير الى الأم عند ورود موضوع الرضاعة ، والى الارتباط الكبير بين الأم ، ومن أرضـــعته ، وأن الرضاعة ليست مجرد اطعام الطفل ، أو تغذيته ، خلال فترة معينة من عمره ، انما الرضاعة ارتبــاط قوى بين المرضعة ومن أرضعته ، وانها ان لم تكن أمه الحقيقية ، فانها تعتبر كأمه ، تحرم عليــه هى وأصولها وفروعها ، لأنه يحرم من الرضاع ، مــا يحرم من النسب ، لقول الرسول ﷺ :

« ٠٠٠ ان الرضاعة تحرم ما تحـــرم الولادة ، وقوله ﷺ : « يحرم من الرضاعة ما يحرم مــن الولادة » (٢) ٠

وعندما أوصى الله تعالى بالوالدين احســانا ، أشار الى ما قامت به الأم من حمل ورضـــاعة ،

---

(١) سورة يوسف ، الآية ١١١ ٠

(٢) انظر صحيح مسلم جـ ١ ص ١٠٦٨ ٠

فالحمل هو الفترة التى أتم خلالها الله تعالى خلق الطفل . وفترة الرضاعة ، هى المدة التى لا يستطيع الطفل خلالها ، أن يعتمد على نفسه فى المأكل ، ولا يناسبه الا اللبن الذى خلقه الله له ، ليشتد عوده ، وينمو جسمه •

وان امتنعت الأم عن ارضاع الولد ، لكونها أجنبية عن أبيه ، أو لعدم دفع أجرة الرضاعة لها عند طلبها ، أو لغير ذلك من الأسباب ، فقد ذكر القرآن البديل عندئذ ، وهو أن ترضعه امرأة أخرى ، وذلك فى قوله تعالى :

« •• فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وأن تعاسرتم فسترضع له أخرى » (١) •

فالآية الكريمة ، تضمنت النص على البديل لارضاع الطفل ، عند عدم ارضاع الأم له ، وهو توجيه واشارة الى ما ينبغى عمله ، لكل من يتدبر القرآن ، ويتفكر فيما يحتويه من معان جليلة ومفيدة ، فالعلم يؤكد كل يوم ، أنه لا بديل للطفل

---

(١) سورة الطلاق ، من الآية ٦ •

أفضل من اللبن الذى خلقه الله له ، لما يتضمنه من عناصر ، تحقق له النمو الجسمى الأمثل ، فضلا عن الراحة والاستقرار النفسى ، التى يشعر بهما الطفل عند ارضاعه ، علاوة على الطعم اللذيذ ، ودرجة الحرارة المناسبة .

٣ ـ فوائد الرضاعة الطبيعية ، البدنية والنفسية :

(أ) من الناحية البدنية :

من الحقائق العلمية التى لا يختلف عليها الباحثون والعلماء والأطباء ، أنه ليس هناك غذاء يمكن أن يقوم مقام لبن الأم ، وقد أكدت التجارب التى أجريت بهذا الشأن ، أهمية لبن الأم ، وفائدته البدنية والنفسية للطفل، علاوة على أنه لذيذ الطعم، معتدل الحرارة ، دون زيادة ولا نقصان .

وقد اكتشف العلماء أن ثدى الأم ، يفرز فى الأيام الأولى من ولادة الطفل ، سائلا أبيض يميل الى الصفرة ، لزجا سميكا ، يعرف « بالكلستروم » أى « اللبأ » أو « المسمار » ، يحتوى على قيمة غذائية كبيرة لا غنى له عنها ، ولا بديل لها بأى شىء صناعى آخر ، إذ انه يحتوى على تركيزات

عالية من بروتينات خاصة ، مضادة لنمو الميكروبات التى تسبب الأمراض .

كما أنه تبين أن لبن الأم ، يتناسب مع جنس المولود ، ونوعه ، وعمره ، وأن مكونـــاته تختص بنمو المخ والأعصاب ، والقدرات الذهنية بالدرجة الأولى ، ثم العضلات والجهاز الحركى ، فى المرتبة الثانية .

وقد لوحظ أن الاطفال الذين يتناولون ألبانـــا صناعية ، يكونون أكثر عرضة لأمراض سوء التغذية والاسهال المصحوب بالجفاف ، اذ ان لبن الأم ، يحتوى على المواد الغذائية اللازمة للطفل ، وبنسب معينة ، تلائم حاجة الطفل فى مختلف مراحل فترة رضاعته ، ولهذا فقد سمى العلمـــاء لبن الأم بـــ « الدم الأبيض » ، لأنه يحتوى على جميع مكونات الدم الذى يجرى فى عروق الانسان ، « بل ويؤدى نفس الوظائف المطلوبة منه ، من غذاء شـــــامل للبروتينات ، والذهنيات ، والسكريات ، والمعادن ، والأملاح ، والفيتامينات ، بل ويتضمن عوامـــل المناعة ، ومقاومة الميكروبات الفتاكة ، والخلايـــا

انحية التى تفترس البكتـــــــريا ، قبل اغتيال الرضيع » (١) .

ويختلف لبن الأم ، عن اللبن الحيوانى ، اذ يقل فيه الزلال والأملاح عن اللبن الحيوانى ، ممـــا يجعله أكثر فائدة للطفل ، فالمواد التى تتركب منها ألبان الحيوانات ، « أعسر هضما ، وأقل قيمـــة غذائية . من اللبن الآدمى ، علاوة على أنها عرضة للتلوث بالميكروبات ، مثل السل ، والتيفـــود ، والدفتريا » (٢) .

وما أشرنا اليه ، يكفى لبيان أهميـــة وفـــوائد لبن الأم أما الاحاطة بكافة فوائده للطفـــل ، فهى عديدة ، وتزداد معرفتنا بها ، كلما تقدمت العلـــوم والمعارف ، اذ يكتشف الانسان مكونات عـــديدة ، وفوائد لم يكن يعرفها من قبل ، وصدق الله العظيم القائل : **« وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (٣) .**

---

(١) من بحث غير منشور للدكتـــور احمد مصطفى عيسى عن الرضاعة الطبيعية .

(٢) رعـــاية الأم والطفل ص ٥٩ ، ٦٨ ، د / زكى شعبان وآخرين .

(٣) سورة الاسراء ، من الآية ٨٥ .

(ب) من الناحية النفسية :

من المشاهد ، أن الأم عندما ترضع طفلها ، فانها تضمه اليها ، فيشعر بالدفء والحنان ، وقد لاحظ العملاء أن الطفل عند الرضاعة ، يسمع دقات قلب أمه ، مما يحدث له نوعا من الاطمئنان والراحة ، وقد أوصى العلماء القائمون على دور الحضانة ، بأن تسجيل هذه الضربات على شرائط تسجيل ، ليسمعها الطفل حين الرضاعة ، فتحقق له راحة نفسية ، تقارب تلك التى يشعر بها الطفل الرضيع من أمه ،.كما قيل أن هزات القلب المنتظمة ، تؤدى الى نمو خلايا معينة فى مخ الطفل تجعله أكثر سلامة من الناحيتين ، الصحية والنفسية .

فالأم علاوة على استطاعتها ارضاع طفلها اللبن الذى وهبه الله له ، تحمل بين جوانبها عاطفة فياضة ، وهى عاطفة الأمومة التى لا غنى للطفل عنها . وهى تظهر وتكون أكثر وضوحا أثناء الرضاعة اذ تضم الأم الطفل اليها والى صدرها ، فيشعر بالدفء والحنان والحب ، مما يهدىء من أعصابه ، ويجعله أكثر اطمئنانا وراحة وسكينة .

وكذلك الحال بعد الرضاعة ، اذ ينصح الأطباء بحمل الطفل ، والربت على ظهره ، ليتجشأ ويخرج الهواء من المعدة ، ليتفادى الاصابة بالغازات ، أو المغص ، أو غير ذلك ، من المنغصات التى قد تحدث بالجهاز الهضمى ، فاذا تجشأ الطفل استراح بدنيا ، واستراح نفسيا ، لعدم شعوره بما يتعبه أو يؤلمه ، وبخاصة اذا لاعبته الأم أو بقيت معه قليلا ، لأنه بذاك سيكون فى سرور كبير ، وراحة نفسية بالغة ، لأن حاجته الى الغذاء قد تمت ، وكذلك حاجته الى الحب والملاعبة .

ولاشك أن ما يؤثر فى صحة الطفل البدنية أو النفسية فى الصغر ، يكون له تأثير عليه فى الكبر ، والملاحظ أن الطفل الذى ينشأ فى أسرة كثيرة الشجار والخصام ، يشب غير مستقر نفسيا ، بخلاف الذى ينشأ فى أسرة هادئة ، تعيش فى سلام ووئام ، وكذلك الحال مع الطفل الذى لا يلقى المعاملة الحسنة فى صغره ، ويعامل بقسوة وجفوة ، فانه غالبا ما ينشأ وفيه بعض من هذه الصفات السيئة .

والطفل الذى لا ترضعه أمه ، وتتركه للغير

ليناوله رضعته ؛ يكون عرضة لسوء المعاملة من هذا الغير ، رغم أنه قد يكون قريبا أو صديقا ، أذ انه لا يوجد أحد أكثر من الأم تحملا للطفل ، وصبرا عليه اذا بكى ، أو غضب ، أو أخطأ ٠

فلا مناص من الالتزام بالحـــق والصـــواب، والرجوع الى ما أمر به الله ورسوله ، من وجوب رعاية الأم لطفلها ، والحرص على ارضاعه لبنها ، لأن التهاون فى أحد المهام ، يؤدى الى التهاون فى أمور أخرى ، فيزداد الاثم ، وتتوالى الأخطاء التى تظهر نتيجتها السيئة ، عاجلا أو آجلا ٠

٤ ــ الرضاعة الطبيعية ، رحمة من الله للأم وللطفل:

أوصى القرآن الكريم خيرا بوالدى الطفل، وطلب عدم الحاق أى ضرر بالوالد أو الوالدة ، بســـبب الطفل ، وهــذا من باب الرعــاية والرحمـــــة بالوالدين ، علاوة على أن الضرر الذى يصـــيب أحدهما ، غالبا ما يصل الى الصغير ، ويؤدى الى الاضرار به أيضا ، فلا ينبغى للأم أن تحاول النكاية بالأب ، والاضرار به ، عن طريق الاضرار بالولـــد

بامتناعها عن ارضاعه ، رغم عدم تقصير الأب فى القيام بواجبات النفقة والرزق والكسوة ، ولاينبغى للأب ، أن يحاول الاضرار بالأم ، دون النظر الى ما قد يصيب الطفل من ضرر ، فينزع الولد منها ، مع رغبتها فى امساكه ، وشدة محبتها له ، ورغبتها فى ارضاعه ، فلا يكون هدف الوالدين غيظ أحدهما للاخر ، عن طريق حرمان الولد من أحد والديه ، لأن ذلك يؤدى الى الاضرار بالولد الذى لا ذنب له فى ذلك (١) .

وقد أمر الله بالتوسعة فى النفقة على الأمهات المرضعات ، على قدر سعة الأب ، فقال تعالى : **« .. على الموسع قدره وعلى المقتر قدره .. » (٢)، « لينفق ذو سعة من سعته » (٣) ، « .. لا يكلف الله نفسا الا ماآتاها .. » (٤)** أى ما أعطاها من الرزق ، فان الأم عندما تصلها نفقتها ، تستطيع أن تتناول الطعام والغذاء الذى تحتاجه ، مما يجعل

---

(١) بتصرف من التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٦ ص ١٢١ .

(٢) سورة البقرة ، من الآية ٢٣٦ .

(٣) ، (٤) سورة الطلاق من الآية ٧ .

اللبن الذى يناوله الطفل ، مغذيا ، محتويا على كافة العناصر الغذائية التى يحتاجها جسمه .

كما أنه لا ينكر أحد ، تأثير الحالة النفسية على صحة الانسان ، فكلما كانت الحالة النفسية للأم طيبة ، كانت صحتها طيبة ، وكان اللبن الذى تعطيه لابنها مفيدا ، وهذا ما يعرفه أجدادنا ، بخبرتهم ومشاهداتهم التى تناقلوها أبا عن جد ، وهذا ما يؤكده أيضا العلم الحديث ، لهذا أوصى الله بالأم خيرا ، بمعاملتها ، وبالانفاق عليها ، لأن ذلك يؤدى أيضا الى تحقيق الخير ، والفائدة للطفل .

ان الله سبحانه وتعالى رحيم بالطفل ، وقد يسر له كافة السبل التى توفر وصول اللبن اليه ، فى راحة وبدون مشقة ، ويحقق له الغذاء المفيد ، بطعم حلو المذاق ، ففى الوقت الذى يكون فيه الجنين فى رحم الأم ، ينصب من الدم نصيب وافر اليه ، حتى يصير مادة لنمو أعضاء ذلك الولد وازدياده ، فاذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب الى جانب الثدى ليتولد منه اللبن الذى يكون غذاء له ، فاذا كبر الولد لم ينصب

ذلك النصيب لا الى الرحم ، ولا الى الثدى ، بل ينصب على مجموع بدن المتغذى ، فانصباب ذلك الدم فى كل وقت الى عضو آخر ، انصبابا موافقا للمصلحة والحكمة ، لايتأتى الا بتدبير الفاعل المختار الحكيم .

« وعند تولد اللبن فى الضرع ، أحدث الله تعالى فى حلمة الثدى ، ثقوبا صغيرة ومساما ضيقة ، وجعلها بحيث اذا اتصل المص أو الحلب بتلك الحلمة ، انفصل اللبن عنها فى تلك المسام الضيقة، ولما كانت تلك المسلم ضيقة جدا ، فحينئذ لايخرج منها الا ما كان فى غاية الصفاء واللطافة ، وأما الأجزاء الكثيفة فانه لايمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة ، فتبقى فى الداخل ، والحكمة فى احداث تلك الثقوب الصغيرة ، والمنافذ الضيقة فى رأس حلمة الثدى أن يكون ذلك كالمصفاة ، فكل ما كان لطيفا خرج ، وكل ما كان كثيفا احتبس فى الداخل ، ولم يخرج ، فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا ، موافقا لبدن الصبى ، سائغا للشاربين .

كما أنه تعالى ، ألهم ذلك الصبى الى المص ، فإن الأم كلما ألقمت حلمة الثدى فى فم الصبى ، فانه فى الحال يأخذ فى المص ، فلولا أن الفاعل المختار الرحيم ألهم ذلك الصبى الصغير ، ذلك العمل المخصوص ، لما حصل الانتفاع بتخليق ذلك اللبن فى الثدى » (١) .

ومن رحمة الله بالطفل وأمه ، أنه أخر انبات الاسنان الى أن يكبر الطفل ، ويحتاج اليها فى تقطيع الطعام ومضغة ، أما انبات الاسنان قبل ذلك ، فانه يؤذى الأم ، ولايفيد الطفل فى شىء ، اذ ان الأسنان تؤلم الأم عند ارضاع الطفل ، وقد أشار الى ذلك ابن قيم الجوزية عند ذكر نصائحه التى يوجهها للوالدين ، لرعاية طفلهما الصغير ، فقال (٢) :

« وينبغى أن يقتصر بهم على اللبن وحده الى نبات أسنانهم ، لضعف معدتهم وقوتهم الهاضمة من

---

(١) بتصرف من التفسير الكبير للفخر الرازى جـ ٢٠ ص ٦٦ .

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود ـ ابن قيم الجوزية ص ١٨١ .

الطعام ، فاذا أنبتت أسنانه ، قويت معدته ، وتغذى بالطعام ، فان الله سبحانه وتعالى أخر انباتها الى وقت حاجته الى الطعام ، لحكمته ولطفه ، ورحمة منه بالأم وحلمة ثديها ، فلا يعضه الولد بأسنانه » .

واذا كان الاسلام حفيا بالأمومة ، حفيظا عليها فهو بالأم الحامل ، أو المرضع ، أحفل وأشد حفاظا فهى تحمل بين أحشائها أعظم مخلوقات الله ، لذلك كان الاسلام ، فى أحكامه التشريعية ، يقوى عزيمتها ويشد أزرها ، ويخفف عنها فى العبادات ، اذ يبيح لها الفطر فى رمضان ، ويخفف عنها فى الصلاة ، ولكنه فى نفس الموضع ، والحاقا لتوصية الانسان بوالديه ، يشير الى حق الوليد فى أن يرضع من ثدى أمه ، ذلك الينبوع الطاهر ، الغنى بالعطف والحنان والغذاء والشفاء .

وحين ينص القرآن الكريم (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) (١) انما يشير الى أن ذلك حق مقدس للطفل ، وهو **أول خطوات التربية البدنية ، والنفسية ، والذهنية**

---

(١) سورة البقرة ، من الآية ٢٣٣ .

السليمة ، ومن الظلم ، تقديم بدائل أخرى لهـذا الوليد البرىء ، العاجز عن التعبير عن رغبـاته وحقوقه ، واذا كان هذا حقا للطفل ، فانه حـق وواجب على الأم فى الوقت نفسه ، حق فى التمتع بأمومتها ، واشباع رغبتها فى أنوثتها ، وارضـاء غريزتها ، والتمتع بثمرة معاناتها شهورا طـويلة كما إنه واجب عليها أن تؤديه بما يرضى الله ، ولولا حجم المسالة لما قال سبحانه وتعالى : (واوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ...) (١،٢) .

كما أنه من رحمة الله تعالى بالأم ، أن الطـب الحديث أكد أن نسبة المصابين بمرض سرطـان الثدى تزداد بين غير المرضعات ، أما من يقمـن بالرضاعة الطبيعية ، فانهن نادرا ما يصبن بهـذا المرض ، وقد أكدت الاحصائيات ذلك ، وهذا يدعونا الى التمسك بالارضاع الطبيعى من الأم ، لأنـه يحقق لها الصحة البدنية ، مع الأخذ فى الاعتبار أن

---

(١) سورة القصص ، من الآية ٧ .

(٢) من محاضرة القاها الاستاذ الدكتور / احمـد مصطفى عيسى فى المؤتمر التاسع عن حقوق الطفـل العربى « التربية الاسلامية للطفل » فى نوفمبر ١٩٨٤ .

فوائد الرضاعة ، ليست هى فقط التى تم توصل العلم الحديث اليها ، بل هى ماتم التوصل اليه وماسيتم التوصل اليه ، بل وغيره أيضا مما لم يكشفه الله لنا ، قال تعالى : (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) (١) •

الأم أنسب من يقوم بالرضاعة :

خلق الله سبحانه وتعالى الذكر والأنثى ، وحث كلا منهما على السعى نحو الارتباط بالطرف الآخر بعلاقة شرعية يكون فيها التعاون والتآلف والسكينة

وليس هناك تحديد أو تقسيم للأعمال التى يقوم بها كل من الرجل والمرأة ، الا فى الأمور التى تحتاج ممارستها الى استعداد وتكوين طبيعى لايتوفر للطرف الآخر ، فالحمل مثلا من الأمور التى اختص الله بها المرأة بحكم تكوينها الطبيعى الذى خلقه الله بها ، وكذلك الحال فيما يتعلق بالرضاعة •

انما يجب أن يكون معلوما أن عملية الارضاع ليست مجرد ادخال الطعام ـ أى طعام ـ فى فم الطفل ، بل أن الرضاعة لكى تتم كما ينبغى ، يجب

---

(١) سورة النحل ، الآية ١٨ •

أن تكون من الطعام الذى وهبه الله للطفـــــــل ، وبالطريقة الحانية المناسبة التى توفر للطفل الهدوء النفسى والراحة ، والتى تجعله يستفيد من الطعام الذى تناوله ٠

فالأم هى خير من يقوم بهذا العمل ، فهى التى منحها الله طعام الطفل لكى تعطيه اياه ، وهى التى وهبها الله العاطفة الحانية العطوفة التى تسمى «عاطفة الأمومة » التى تجعل الأم تصبر على طفلها اذا بكى واذا مرض أو اذا ضايقها فى وقت كانت تستمتع فيه بشىء من الهدوء أو أيقظها من نوم كانت فيه فى سبات عميق ، والكل يشهد أن الأم بمجرد بكاء طفلها بجانبها يجعلها تستيقظ مباشرة قبل غيرها ٠ بحكم عاطفتها التى خلقها الله بها ٠ وبحكم ارتباطه بهـــا وارتباطها به الذى دام تسعة أشهر واستمر بعـــد ذلك بالرضاعة وبالمعاملة الطيبة معظم أوقات الليل والنهار ٠

فلا غنى عن الأم لاتمام الرضاعة كما يريدها الله سبحانه وتعالى ، لأنها بحكم استعدادها الطبيعى لامداد الطفل بالطعام وبالحنان والحب ، تكـــون

أقدر من الأب أو غيره على رعاية الطفل وتــولى أموره فى فترة طفولته .

فقد يكون من المصلحة أحيانا ترك الطفل يبكى قليلا ، وعدم اسكاته باعطائه مثلا « البزازة » أو اعطائه الرضعة قبل موعدها بهدف كفه عن البكــاء رغم ماقد يؤدى اليه ذلك من ضرر له ، لأن إعطاءه رضعة قبل استكمال هضم الرضعة السابقة يؤدى الى اختلاط رضعتين أحداهما نصف مهضـــــومة والأخرى تحتاج الى هضم كامل ، وذلك يؤدى الى اضطرابات للطفل .

فمن يعمل لمصلحة الطفل قد يصبر على بكائـــــه قليلا ، أو يحاول أن يشغل الطفل بحمله أو ملاعبته حتى يحين موعد رضاعته ، أو يزول ما كان يضايقه أما من يقوم برعاية الطفل ، لمجرد تأدية واجب ، قد لايكون لديه الوازع الدينى والضمير الذى يدعوه الى العناية الكافية بالطفل فيعطى الأولوية لراحته ولو على حساب راحة الطفل وصحته ، ومحاولـــة تنويم الطفل أو اسكاته ليتفرغ هو لمشاغله .

وقد أشار ابن قيـــم الجوزية الى بعض فوائد البكاء للطفل ، فى قوله : (١)

« ولاينبغى أن يشق على الأبوين بكاء الطفـــل وصراخه ، ولاسيما لشربه اللبن اذا جاع ، فانه ينتفع بذلك البكاء انتفاعا عظيما ، فانه يروض أعضاءه ، ويوسع أمعاءه ، ويفسح صدره ، ويسخن دماغه ، ويحمى مزاجه ، ويثير حرارته الغريزية ، ويحـــرك الطبيعة لدفع مافيها من الفضول ، ويدفع فضلات الدماغ من المخاط ، وغيره » .

والأم بتوليها مسئولية تربية ورضاع طفلهـــا ، تكتسب تجارب وخبرات ، تجعلها فيما بعد أكثـــر خبرة ومهارة فى ذلك ، **ومن الأهمية بمكان التزام كل جنس بطبيعته التى خلقه الله عليها** ، لأنه بذلك يلتزم بالنظام الذى أعده الله للكون ، فقد خلـــق الله الذكر بطباع وصفات معينة ، وخلق الأنثـــى أيضا بطباع وصفات خاصة بها ، وامتناع الأم عن ارضاع طفلها من ثديها ، واعطائه لبنـــا صناعيا ـــ

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود ـ ابن قيم الجوزية ص ١٨٢ .

دون سبب يبرر ذلك ـ تعطيل لعمل عضو خلقه الله لها ، وتعالى الله أن يخلق شيئا دون حكمة أو مبرر .

ومن كرم الله تعالى وعنايته ، بكل من الأم والطفل . أنه لم يخلق للأم ثديا واحدا ، بل ثديين. ليكفل للطفل القدر الكافي من الطعام ، وليكون الثدي الآخر مصدرا لطعامه ، اذا أصاب أحد الثديين عارض يمنعه من أداء وظيفته في ارضاع الطفل ، كما أن في ذلك أيضا راحة للأم وللطفل ، اذ أن الاستمرار في ارضاع الطفل على وضع واحد ، قد يصيب الاثنين بالتعب أو الألم فالنقل الى الثدي الآخر يؤدي الى الاحساس بالراحة ، ويساعد على اتمام عملية الرضاعة ، في يسر وسهولة .

فلا ينبغي ، بعد كل هذه النعم التي خلقها الله لنا ، والوسائل التي أمدنا بها والتي تكفل الراحة والخير ، أن نتركها ، لنلجأ الى شيء بديل صناعي ، يشهد العلماء والباحثون والأطباء بأنه لايرقى أبدا الى نفس القيمة الغذائية التي للبن الطبيعي ، والتواؤم الكامل مع الحاجات البدنية والنفسية

للطفل ، علاوة على الفوائد العديدة الأخرى التى سبق أن أشرنا اليها ، وتلك التى قـد يكتشـفها العلماء مستقبلا .

فرعاية الطفل والعناية به ، تحتاج الى تعـاون بين الوالدين على اتمام هذه المرحلة الهامة من عمره وقد كثرت فى الآونة الاخيرة ، النصائح التى ترد فى الكتب والمجلات الطبية والعلمية (١) ، والتى تدعو الأم الى أهمية الرضاعة ، وعدم الاعتماد عـلى مصادر أخرى خارجية ، وتدعو الأب الى محاولة معاونة الأم ، لتوفير ما تحتاجه ، لتتفرغ لمهمـة العناية بالطفل ، وتربيته ، الى غير ذلك من النصائح التى أشرنا وسنشير اليها .

---

(١) من ذلك مجلة الفيصل الطبية ـ العدد الثامن ـ جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ .

ثانياً عيوب اعطاء الطفل ألباناً خلال لبن الأم .

١ ـ من الناحية الصحية :

أحيانا تضطر الأم الى اعطاء الطفل ألبانا خارجية نتيجة مرضها ، أو قلة لبنها ، أو ضعف الطفل وعدم قدرته على الرضاعة ، لعدم اســـتطاعته أن يمص اللبن بقوة ، مما يؤدى الى قلة افرازه ، أو قد تجهده عملية الرضاعة ، فينام قبل اتمام كفايته ، أو قد توجد التهابات فى أنفه أو فمه ، تعوق عملية الرضاعـــة بشكل طبيعى ، أو اصابة الأم ببعض الأمراض التى يخشى منها على الطفل ، كبعض الامراض المعدية ، أو التى تكون الرضاعة معها ، خطرا على صحتها ، كأمراض الكلى والقلب ، المتقدمة ، الى غير ذلـك من الآسباب التى تضطرها الى اللجوء الى الرضاعة الصناعية ، وترك الرضاعة الطبيعية ، **وفى هذه الحالة ينبغى على الأم أن تعلم أن الضرورة تقدر بقدرها وأنه لا وزر عليها ، فى الحالات السابقة ، ان لجأت الى الرضاعة الصناعية** ، لأن الطفل لا غنى له عـــن الغذاء والطعام ، ومادام قد طرأ طارىء منع هـــذه

الرضاعة الطبيعية ، فلا مناص من اللجوء الى وسيلة أخرى لاطعام الطفل •

ولكن ليكن معلوما لها ولغيرها ، أن الرضاعة الطبيعية لا تعدلها رضاعة أخرى ، مهما قيل فى فوائدها الصحية ، ومهما قيل عن محتوياته الصناعى التى أضيفت له من الفيتامينات أو المعادن، أو غير ذلك من المواد الغذائية ، لأنه من المعلوم طبيا أن المواد الطبيعية ، كالفواكه والخضروات واللحوم وغيرها من المواد الغذائية ، تكون أنسب ما تكون ، من حيث فائدتها للجسم ، وعدم تضرر الجسم منها ، عندما تكون طازجة ، وأقرب ماتكون لحالتها الطبيعية ، أما ان تعرضت للغلى مرة أو عدة مرات ، أو وضعت فى درجات حرارة منخفضة عن الصفر للحفظ من التلف أو أضيفت اليها عدة مواد أخرى ، وتمت معالجتها بالمواد الكيماوية ، للعمل على تجفيفها وحفظها ، فان ذلك كله يؤدى الى فقدان هذه المواد الطبيعية لكثير من عناصرها الغذائية المفيدة للجسم •

فارضاع الطفل من أمه ، يفيده صحيا ونفسيا، وهذا ما لايتحقق كله فى الرضاعة الخارجية ، علاوة

على أن اللبن الحيوانى والمجفف ، يختلف عن لبن الأم فى عدة أمور ، نشير منها الى ما يلى (١) :

١ — أن اللبن الحيوانى يحتاج الى الغلى ، لتعقيمه ، وقتل ما به من الميكروبات ، كما يجب المحافظة عليه بعد ذلك من التلوث ، أو الحشرات ، أما اللبن الآدمى فخال من البكتريا التى تسبب النزلات المعوية •

٢ — اللبن الحيوانى يحتاج الى تخفيف بالماء قبل اعطائه للطفل ، وكمية الماء التى تضاف للبن يحتاج تحديدها الى دقة ، فالاقلال من الماء ، يؤدى الى جعل اللبن أعسر هضما ، والاكثار منه ، يؤدى الى اقلال قيمة اللبن الغذائية •

٣ — أن الماء الذى يضاف الى اللبن ، ينبغى أيضا غليه لضمان خلوه من الميكروبات ، وعند اعطائه للطفل يجب تبريده لدرجة مناسبة ، ليمكنه أخذه ، لأن درجة الحرارة ، لو زادت ، تؤدى الى التهاب

---

(١) بتصرف من : Manual of Pediatrics
٠١ دكتور / فؤاد البحيرى وآخرين ص ٢١ ، ص ٢٢
Pediatrics ٠١ دكتور / أحمد محمد العباسى ص ٨١

فمه ، ولو قلت ، تؤدى الى متاعب لجهـــــــازه الهضمى .

٤ ــ أن اللبن الحيوانى يحتاج الى اضـــافة السكر اليه ، لالتحليته فقط ، بل لأن السكر يمثل قيمة غذائية يحتاجها الطفل ، كما أنه من المعروف علميا ، أن ألبان أناث الحيوانات ، تناسب أولادها الرضع ، ولا يتناسب الطفل الآدمى ، فاللبن الذى يفرزه كل نوع من الحيوانات ، يختلف فى تكوينه عن بقية الألبان الأخرى ، فى حين أنه يناسب النوع الذى أفرزله .

٥ ــ عند تحضير الرضعة للطفل ، تكون عرضـــة للتلوث لأسباب عديدة منها عدم نقـــاوة الماء ، أو عدم نظافة الشخص الذى أعد الرضعة ، أو مرضه الى غير ذلك من الاضرار التى قد تحدث للطفل ، نتيجة تواجد عناصر خارجية بين اللبن المراد اعطاؤه للطفل ، وبين الطفل نفسه ، هذا اذا افترضنا أن اللبن خال من الميكروبات والأمراض .

٦ ــ فيما يتعلق باللبن المجفف ــ بصفة خاصة ــ فان الرضعة لايتم اعدادها للطفل ، الا قبل موعد

تناولها مباشرة ، فان حدث عارض للطفل ، كتعب مفاجىء ، أو نوم ، فانه يجب الاستغناء عنهـــا ، وعمل رضعة أخرى عند استعداده لتناولها ، وكذلك الحال فيما يتبقى من كل رضعة ؛ فانه لايستعمل للرضاعة مرة أخرى ، خوفا على الطفل من ارباك معدته وأمعائه ، وفى هذا اسراف لا داعى له •

٧ ــ أن أنواع الألبان المجففة عديدة متنوعة ، وما يناسب طفلا معينا قد لايناسب الآخر ، ومـــا يناسبه فى وقت معين ، قد لايناسبه فى وقت آخر ، فاعطاء الطفل لبنا غير مناسب ، يؤدى الى الاضرار به ؛ أما لبن الأم فهو أسهل هضما ، ويحتوى على أنزيمات تساعد على هضم الدهون ، بينما لاتوجد هذه الأنزيمات فى الألبان الحيوانية •

٨ ــ أن لبن الأم يمتاز عـــلى اللبن الحيوانى ، بأنه يحتوى على مضادات حيوية ، تساعد عـــلى زيادة المناعة لدى الطفل ، وتزيد مقاومته للعدوى ويحتوى على العناصر الغذائية المناسبة لصـــحة الطفل ، ونموه ، وبخاصة فيتامين ج ، د •

---

(١) من كتاب رعاية الأم والطفل ــ د / زكى شعبان وآخرين •

٩ ـ لوحظ أن اللبن الآدمى يقل عن ألبـــان الحيوانات الثديية فى نسبة الزلال ، والدهـون ، والأملاح ، وهو لذلك يعتبر أفضل للطفل ، ويتبين ذلك من الجدول التالى :

اللبن	زلال	دهن	سكر	أملاح
آدمى	١ ½	٣	٦	٢و ـــ
بقرى	٣	٣	٤	٨و ـــ
جاموسى	٣	٦	٤	٨و ـــ
ماعزى	٣	٤	٤	٨و ـــ

١٠ ـ وفيما يتعلق بالفرق بين اللبن الآدمى ولبن الأبقار ، مثلا ، لوحظ أن لكل منهما مكوناته التـى تختلف عن الآخر ، وفقا لما يلى :

أ ـ أن نسبة السكر فى اللبن الآدمى ، تكـاد تصل الى ضعف كمية السكر الموجودة فى لبن البقر.

ب ـ أن نسبة بعض المعادن ، كالكالسيوم فى لبن البقر ، حوالى أربعة أمثاله فى اللبن الآدمـى ، وكذلك الفوسفور ، حيث تصل نسبة الزيادة الـى

ستة أمثال ، وتزيد النسبة أيضا بمقادير متفاوتة فى الصوديوم ، والكلور ، والمغنسيوم ، والبوتاسيوم •

جـ ــ أن نسبة الحديد فى لبن البقر ، تقل كثيرا عن مثيلتها فى اللبن الآدمى •

د ــ أن نسبة الفيتامينات ، تختلف فى اللبنين •

وقد أشرنا الى الاختلافات بين مكونات اللبن الآدمى ، والألبان الأخرى ، لأن من يتناول هـــــذه الألبان ، لن يحتوى جسمه على النسب المتعادلـــة التى خلقها الله فى جسم الانسان ، والتى تـــلائم طبيعته ونشاطه وحياته ، وأن اضطراب هذه النسب، بالزيادة أو بالنقص ، يؤدى الى أضرار وأمراض نتيجة الاعتماد على الألبان الخارجيـــــــة ، دون لبن الأم •

وذلك مأخوذ من الجدول الآتى :

مقارنة بين اللبن الانسانى ولبن الأبقار (*)

	اللبن الانسانى	لبن الأبقار
١ ــ ماء	٨٨	٨٨

(*) د • فؤاد البحيرى وآخرين •
Manual of Pediatricap. 26

٢ ـــ بروتين	١٫٥	٣٫٥
ـــ لاكتالبيومين	٦٠٪	١٥٪
ـــ كازين	٤٠٪	٨٥٪
٣) سكر	٧٪	٤٪
٤) دهن	٣٫٥	٤
٥) معادن	٠٫٢٥٪	٠٫٧ ـــ ٠٫٧٥
ـــ كالسيوم	٣٣	١٢٢
ـــ فسفور	١٥	٩٠
ـــ حديد	٠٫١٥ ملليجرام	٠٫١ ملليجرام
ـــ صوديوم	١٥	٥٠
ـــ كلور	٤٣	١٠٠
ـــ مغنسيوم	٤	١٣
ـــ بوتاسيوم	٥٥	١٣٨
٦) فيتامينات لكل ١٠٠ سم^{3}		
ـــ أ	١٥٠ وحدة	١٠٠ وحدة
ـــ د	٢ ـــ ١٠ وحدة	١٫٣ ـــ ٣ وحدة
ـــ ج	٤٫٢ ملليجرام	١٫٨ ملليجرام
ـــ ب١	٠٫٠١ ملليجرام	٠٫٠٤ ملليجرام
ـــ ب٢	٠٫٠٤ ملليجرام	٠٫١٧ ملليجرام
ـــ ب٦	٠٫٢ ملليجرام	٠٫١ ملليجرام

٢ ـ من الناحية المالية :

اللجوء الى الألبان الخارجيــة ــ دون ضرورة تدعو اليها ــ اسراف ، ينهى عنه الاسلام ، بصرف النظر فيما اذا كان المشترى قادرا على الشراء دون مشقة ، أو كان يحتاج الى ثمن الالبان الخارجيــة فى اشباع حاجة من حاجاته الاخرى الضرورية ، كالمأكل ، أو الملبس له ، أو لأسرته .

فالشخص القادر من الافضل له أن يتصدق بمبلغ من المال ، أو ينفق هذا المبلغ فى أى وجه من وجوه البر ، بدلا من أن يشترى ألبانا خارجية ، ليســت مفيدة للطفل كلبن أمه ، وهو بذلك يستبدل الغــث بالثمين ، ويغذى طفله على خلاف ما أمر اللـــه به، ويغير اللبن الذى أجراه الله فى ثدى الأم ، ليكون غذاء للطفل ، ورزقا له .

ويلاحظ أن الألبان الجافة ، فى مصر وفى كافــة البلاد النامية ، تكون مستوردة من البلاد الأجنبية التى تسعى الى تحقيق أقصى ربح ممكن ، اذ وجد أن الألبان المستوردة ، تباع بما يوازى ٤٠٠٪ من تكلفة صناعتها ، مما يشكل عبئا اقتصاديا عـــلى

كثير من الأسر ؛ ويصبح من الاسراف الاعتماد عليها في ارضاع الطفل ، بدلا من لبن الأم ٠

وكفانا زجرا عن التبذير ، أن الله تعالى قـــال عن المبذرين : **« ان المبـــــذرين كانوا اخوان الشياطين »** ، وبين انه لا يحبهم ، وقد نهى تعالى عن الاسراف ، وذم المسرفين ، في كثير من الآيـــات القرآنية ، ومن ذلك قوله تعالى :

(وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) (١) ٠

(وكلوا واشربوا ولا تسرفـــوا انــه لا يحب المسرفين) (٢) ٠

(والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) (٣) ٠

(٠٠٠٠٠ وأن المسرفين هم أصحاب النار) (٤) ٠

---

(١) سورة الانعام ، من الآية ١٤١ ٠
(٢) سورة الأعراف ، من الآية ٣١ ٠
(٣) سورة الفرقان ، من الآية ٦٧ ٠
(٤) سورة غافر ، من الآية ٤٣ ٠

والاسراف لغة (١) : مجاوزة القصد والاعتدال ، وأكثر ما يستعمل الاسراف فى انفاق المال ، وقال ابن الاعرابى : السرف تجاوز ما حد لك ، وقال شمر : سرف المال ماذهب منه من غير منفعة (٢) •

والمقصود من قوله تعالى : **(انه لايحب المسرفين)** الزجر ، لأن كل مكلف لايحبه الله تعالى ، فهو من أهل النار ، والدليل عليه قوله تعالى : **(وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ٠٠)(٣)** فدل هذا على أن كل من أحبه الله فليس هو من أهل النار ، وذلك يفيد من بعض الوجوه أن من لم يحبه الله ، فهو من أهل النار •

كما أن قوله تعالى **(انه لا يحب المسرفين)(٤)** نهاية التهديد ، لأن كل من لايحبه الله تعالى ، بقى محروما من الثواب ، لان معنى محبة الله تعالى للعبد ايصاله الثواب اليه ، فعدم هذه المحبة ، عبارة عن

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ مجمع اللغة العربية جـ ١ ص ٥٨٦ •

(٢) التفسير الكبير ـ للفخر الرازى جـ ١٣ ص ٢١٤ ، ٢١٥ •

(٣) سورة المائدة ، من الآية ١٨ •

(٤) سورة الانعام ، من الآية ١٤١ •

عدم حصول الثواب ؛ ومتى لم يحصل الثواب ؛ فقد حصل العقاب ، لانعقاد الاجماع على أنـــه ليس ف الوجود مكلف ، لايثاب ولايعاقب (١) •

والتبذير هو وضع المال فيما لا ينبغى ، فهو مبذر ، وهم مبذرون(٢)، وقال تعالى عنهم : **« ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشـــيطان لـــربه كفورا »** (٣) ، والمراد من هذه الأخـــوة ، التشـــبه بهم فى هذا الفعل القبيح ، وذلك لأن العرب يسمون الملازم للشىء ، أخا له ، فيقولون فلان أخو الكرم والجود ، وقيل قوله : **« اخوان الشـــياطين »** أى قرناؤهم فى الدنيا والآخرة (٤) •

فالمسرفون والمبذرون اخوان الشياطين ، لأنهم يخالفون أوامر الله سبحانه وتعالى ، ويطيعـــــون وسوسة الشيطان التى تسول لهم اتيان المخالفات ، واجتناب الخير •

---

(١) بتصرف من التفســـير الكبير ـ للفخر الرازى جـ ١٣ ص ٢١٥ ، جـ ٢٠ ص ١٩٣ ، ١٩٤ •

(٢) معجم الفاظ القرآن الكريم ـ مجمع اللغة العربية ص ٨٩ •

(٣) سورة الاسراء ـ الآية ٢٧ •

(٤) بتصرف من التفسير الكبير ـ للفخر الرازى جـ ١٣ ص ٢١٥ ، جـ ٢ ص ١٩٣ ، ١٩٤ •

٢ ــ الرضاعة الطبيعية من الناحية الأسرية :

يلاحظ أن قيام الأم بارضاع طفلها بلبنها ، وعدم اعتمادها على الألبان الخارجية ، كثيرا ما يؤدى الى رأب الصدع عند وجود خلافات بين الزوجين ، اذ أن الرضاعة الطبيعية ، تدعو الى تمسك المرأة ببيتها، وارتباطها بطفلها ، ومن المشاهد عند حدوث خلافات بين الزوجين ، وتمسك كل منهما برأيه ، أن يتنازل أحدهما أو كلاهما ــ لمصلحة ، الطفل ــ عن هــــذه الخلافات ، ويتسامح مع الطرف الآخر ، فالأب قــد يغفر للأم ما قد يكون حدث منها ، أو ما يعتقد أنه خطأ ، نظير بقاء الأم مع طفلها ترضعه وترعاه، ويهيء لها الجو النفسى المناسب ، حتى لا يضار الطفـــل عند رضاعه منها ، وقت شدة انفعالها وحزنها ، وكذلك الأم قد تتحمل ، أو تغفر سوء معاملته ، مراعـــاة لصالح الطفل ، وعدم حرمانه من عاطفة الأبوة التى يحتاجها ، كما يحتاج عاطفة الأمومة .

وكثيرا ما يؤدى وجود طفل لدى الوالــــدين ــ وبخاصة اذا كان رضيعا ــ الى حل الخلافات بينهما، أما اذا كان يتم اللجوء الى الرضاعة الصناعية ، فان

الأم تفكر أحيانا فى ترك المنزل للأب ، وترك الطفل أيضا ، حتى تشغله عن عمله ، وتجعله يحس بفضلها، وبمجهودها الذى تقوم به فى البيت ، ونحو الطفل أيضا، وتظن أن الطفل لن يتعرض للأذى ، لأن الرضعة الصناعية من الممكن أن يقوم بها أى شخص ، فالمقصود بالضرر الأب وليس الطفل ، انما الضرر فى الحقيقة يصيب الجميع ، الأب والأم والطفل .

ونقول لمن يترك الرضاعة الطبيعية ، ويعرض عنها الى الرضاعة الصناعية : انه يترك عطاء الله الى ما دونه ، وهو كمن يجحد نعمة الله ، ولا يعترف بفضله وكرمه ، ولا يشعر بأهمية عطاء الله الذى يمنحه دون أجر ، ودون مقابل ، وهو كمن قال الله عنهم :

« .. أفبنعمة الله يجحدون » (١) .

---

(١) سورة النحل ، من الآية ٧١ .

ثالثاً : شبهات تدعو البعض للرضاع الصناعي ..

١ ــ تقليد الغرب المتقــدم صناعيا (الرضــاعة والتقليد) :

بعض الناس يتطلع بنظره الى البلاد الأجنبية ، المتقدمة علميا ، فى عصر ظهرت فيه أهمية الألكترونيات والكمبيوتر ، وغير ذلك من المخترعات الحديثة التى وضحت أهميتها فى كثير من مجــالات الحياة ، وقد تأثر هذا البعض ، بما حققته هذه الدول من تقدم فى العلوم والمعارف ، مما دعاه الى محاولة تقليد شعوب هذه الدول فى عاداتهم الاجتماعية وسلوكهم ، ظنــا منه أن هذه العادات والتقاليد ، هى التى أوصلتهم الى هذا التقدم العلمى الكبير

ونود أن نقول لهؤلاء المتطلعين بانبهار الى التقدم الغربى ، أن يرجعــوا بنظرهم قليــلا الى الوراء ، ليعرفوا أن نواة علوم الغرب هى علوم المســلمين الأوائل ، الذين نبغوا فى كافة مجالات العلوم ، يوم فهموا قوله تعالى : **(واتقوا الله ويعلمكم الله)** (١)

(١) سورة البقرة ، من الآية ٢٨٢ ٠

فاتقوا الله وعبدوه حق عبادته ، فهداهم الى كثير من العلوم التى مازال يدرس بعضها فى أوربا حتى الآن، ولكن فى مرحلة تالية ، حلت بالمسلمين عوامل عديدة ، أدت الى انشغالهم بمشاكل بلادهم وأنفسهم ، فى حين عكف الغرب على تطوير العلوم ، والسعى نحو الاكتشافات العلمية التى تحقق له المزيد من السيطرة والقوة ، الا أنه فى الوقت نفسه ، لم يهتم اهتماما كافيا بالقيم الروحية الدينية ، فدب الفساد والانحراف الخلقى بين صفوفه ، وكانت معاول الهدم التى تهدد التقدم الذى بناه فى عشرات بل مئات السنين .

وللأسف يلجأ البعض الى تقليد الغير ، لا فى دأبه على العمل وحبه للنظام مثلا ، انما فى الأمور الأخرى التى لا تفيد ، بل تؤدى الى التخلف والتأخر ، كالزى المتبهرج الذى تلبسه المرأة ، أو الذى يظهر جسمها ، وخروجها الى العمل ، لمجرد الرغبة فى عدم البقاء بالمنزل ، والخروج الى الشارع وللعمل ، لمجرد الاحساس بأنها مثل الرجل تفعل ما يفعله ، دون مراعاة أن ذلك العمل ، قد يؤدى الى اختلائها بأغراب

عنها ، أو أنه قد يسبب لها البقاء خارج المنزل الى وقت متأخر ، ودون مراعاة لحالة الفوضى ، وعدم النظام التى قد تحدث فى بيتها ، نتيجة تغيبها عنه فترة طويلة ٠٠ الى غير ذلك من النتائج التى تترتب على ترك المرأة لبيتها ، ويهمنا من ذلك عدم استطاعتها ارضاع طفلها ، والاعتماد على الغير فى ارضاعه لبنا صناعيا ، نظرا لتغيبها عن البيت ، وقت حاجة الطفل للطعام ٠

ونقول لمن يترك الرضاعة الطبيعية ، تشبها بالغير ، ان التشبه بالغير فى الأمور الحسنة مطلوب ، أما التشبه بالغير ، دون معرفة النتائج التى قد يؤدى اليها هذا التصرف ودراستها ، فانه يكون عملا غير مفيد ، وقد يؤدى الى عواقب وخيمة ٠

كما نود أن نقول للمتطلع لأحوال الدول الأجنبية، انه ينبغى عليه ألا يكتفى بمعرفة جانب واحد من جوانب حياتها ، ويبنى أحكامه على هذه المعرفة ، لأن ذلك لا يعطيه فكرة وافية عن هذه البلاد ، فمعرفة التقدم العلمى ، لا يغنى عن معرفة الأحوال

الاقتصادية ، والقانونية ، والاجتماعية .

ومن تسمح له أحواله بالسفر الى البلاد الأجنبية، المتقدمة علميـــا ، يلمس التفكك الأسرى بين كثير من أفرادها ، وعدم الاهتمام الكافى بصـــلة الرحم ، وانتشار الجريمة ، وبخاصـــة بين الشــباب الذين لا يجدون التوجيه الأسرى المطلوب لغرس الأخلاق الطيبة ، والقيم الدينية التى تدعو للفضيلة والخير .

وقد بدأ المصلحون فى الدول الأجنبيـــة ، ينبهون الى خطورة انتشـــار كثير من العادات غير الطبية والسلوك السيء الذى لا يؤدي فى النهاية الى صالح المجتمع ، وبدأ الأطباء والعلماء يطالبون بالعــودة ، مثلا ، الى الرضاعة الطبيعيـــة ، بعد ما تبينت لهم فوائدها الصحية والنفسية ، للطفل وللأم ، وما تؤدي اليه من حسن تنظيم العلاقات بين أفراد الأسرة .

وأولى بالمسـلمين أن ينأوا بأنفســهم عن تقليد غيرهم فى اتيان عمل معين ، أو الانتهاء عنه ، وعليهم أن يلجأوا الى كتاب الله تعالى ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففيهما الهدى والرشاد ، وقد أمر اللـــه تعالى الأم بارضاع طفلها ، وأمرت السنة

النبوية بذلك وسبقت الاشارة الى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تدعو الى ذلك ، فأحرى بنا نبذ التقليد الأعمى ، والتمسك بهدى تعاليم الاسلام الحنيف ، لننال الخير الوفير ، باذن الله •

٢ ـ الرضاعة وعمل المرأة :

أباح الاسلام ـ فى بعض الظروف ـ العمل فى الأعمال المشروعة التى لا تتنافر مع طبيعة المرأة ولا تؤدى الى اختلاطها بأغراب عنها ، وذلك مما يحفظ للمرأة كرامتها ، ويبعدها عن كل ما يتنافى مع الأخلاق الكريمة ، وطلب منها أن ترتدى ملابسها عند خروجها ، وفقا لما يأمر به الشرع ، وتبتعد عن الزينة والروائح ، وكل ما يثير الفتنة ويعرضها ، أو غيرها ، للخطأ •

وقد تلجأ المرأة للعمل ، لحاجتها الى المال ، أو لأداء رسالة انسانية ، كالعمل فى مجالات تكون هى أفضل لتوليها ، كطبيبة لأمراض النساء ، أو التدريس لهن ، وفى هذه الحالة يجوز للأم أن تعتمد على الغير فى تحضير رضعة الطفل ، لحين عودتها من العمل ، بحيث

تستكمل هى معه بقية الرضعات وتصبح الرضعة الصناعية ضرورة يتم اللجوء اليها فقط فى الوقت الذى لا تكون هى معه فى البيت ، أما عند وجودها فلا يكون هناك مبرر لحرمان الطفل من غذائه الذى منحه الله له ٠

وعلى الأم التى اضطرت الى العمل ، أن تحاول التوفيق بين موعد رضاعة وليدها ، وبين مواعيد عملها ، حتى لا يطغى العمل على صحة الطفل ٠

أما ان لم تكن هناك حاجة لعمل المرأة ، فان بيتها وطفلها أولى بها ، ومن التقصير الشديد فى هذه الحالة ، أن تضحى الأم بصحة طفلها وراحته ، فى سبيل عمل ليست فى حاجة اليه ٠

واذا كان غرض الأم التى تعمل تحقيق مكسب مادى اضافى ، فانه يجب أن تضع فى اعتبارها ، أن عملها يحملها مصاريف اضافية ، كمواصلات ، وملابس ، وأحذية ، ومجاملات ، وكذلك أثمان الألبان الخارجية التى ستشتريها لطفلها ، وغير ذلك من المصروفات التى يستدعيها البقاء خارج المنزل فترة

من الوقت ، بالاضافة الى أن عمل المرأة خارج البيت، يضيف اليها أعباء اضافية ، اذ انها عندما تعود من العمل ، كثيرا ما تجد أنها فى حاجة الى أداء كثير من الأعمال بالمنزل ، غير ما يحتاجه طفلها من رعاية وعناية ، وقد يضطرها الأمر الى الاستعانة باحدى العاملات للمعاونة فى أداء أعمال المنزل ، مما يضيف على ميزانية المنزل أعباء اضافية أخرى •

٣ ــ الرضاعة الطبيعية وصحة الأم ورشاقتها :

يعتقد البعض أن الرضاعة الطبيعية تؤدى الى الاضرار بصحة الأم ورشاقتها ؛ فينصح الأمهات بعدم ارضاع أطفالهن ، واعطائهن ألبانا خارجية ، فى حين أنه قد اتضح طبيا أن الحقيقة على خلاف ذلك تماما ، اذ أن « الرضاعة الطبيعية تعطى الأم الفرصة للتخلص من مخزون الطاقة ، والشحم المتراكم ، أثناء الحمل فمن المعروف أن الحوامل يزداد وزنهن أثناء الحمل ، استعدادا للرضاعة بعد الولادة ، فاذا لم تقم الأم بافراز لبن الثدى بانتظام لارضاع وليدها ، فان الطاقة المتراكمة فى جسمها ، سوف

تزداد تراكما ، وسوف يبقى وزنها أكثر من المعدل » (١) •

كما أن عملية الرضاعة تمثل أهمية كبرى للأم ، اذ أنها تساعد على اعادة وضع الرحم الى حالته الطبيعية ، نتيجة أن الرضاعة تؤدى الى افراز هرمونات أنثوية تؤدى الى ذلك ، علاوة على أنه ثبت علميا أن عملية مص الطفل لثدى أمه أثناء الرضاعة ، يساعد أيضا على الوصول الى هذه النتيجة •

وعلاوة على ذلك ، فان الأم لو حرصت على القيام بأداء بعض التمرينات الرياضية يوميا ، فان ذلك سيساعد أكثر على تحسين صحتها ، وزيادة رشاقتها ، وبخاصة اذا أخذنا فى اعتبارنا أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يهب كل النعم ، يهب المال والبنين والصحة وكل شىء ، فعند طاعتنا له ، والتزامنا بأوامره ، وأداء ما يجب علينا ، فان العاقبة ستكون خيرا ، وسيساعدنا على استرداد صحتنا ، وتحسن أحوالنا •

---

(١) من بحث غير منشور للدكتور / أحمد مصطفى عيسى رئيس جمعية أصدقاء لبن الأم المصرية •

النصوص الدالة على التحريم وأسبابه :

ثبت التحريم بالرضاع ، بالكتاب والسنة والاجماع فقال الله تعالى عند ذكر المحرمات :

(.. وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ..) (١) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب » (٢) .

وأجمع الصحابة والتابعون والفقهاء على التحريم بالرضاعة .

فمتى تمت الرضاعة ، فقد ثبت الحكم ، وهو التحريم ، وقد أشار الامام محمد أبو زهرة الى حكمة التحريم بالرضاعة ، فقال :

« انفردت الشريعة الاسلامية ، من بين الشرائع السماوية القائمة الآن ، بجعل الرضاع سببا من

---

(١) سورة النساء ، من الآية ٢٣ .

(٢) شرح صحيح البخارى ـ للكرمانى جـ١٩ ص٧٧ .

أسباب التحريم ، وان لذلك أسبابا قوية موجبة لهذا التحريم ، منها :

أ ـ أن المرضع التى ترضع الولد ، انما تغذوه بجزء من جسمها ، فتدخل أجزاؤها فى تكوينه ، ويكون جزءا منها ، وأن الحس والطب يثبتان ذلك ، فان لبنها در من دمها • ينبت لحم الطفل ، وينشز عظمه ، واذا كان جسمها ملوثا بمرض مستكن فيه سرت عدواه الى الطفل ، وان كانت نقية الجسم سليمة قوية ، استفاد الطفل منها قوة ونماء •

واذا كان الطفل جزءا منها ، فهى كالأم النسبية ، بيد أن هذه غذته بدمها فى بطنها ، وتلك غذته بلبنها بعد وضعه ، فاذا كانت الأم النسبية محرمة على التأبيد ، وبعض من يتصل بها من محرمات عليه ، فكذلك الأم الرضاعية ، فهذا أمر بديهى ، مشتق من الحس ، وكلام أهل الخبرة •

ب ـ وأن المرضع تندمج فى الأسرة التى ترضع أحد أولادها ، فتكون من آحادها ، كما يكون الطفل فى بيت مرضعته ، مندمجا فى أسرتها ، فيكون ذلك التشابك الذى يجعل أسرته أسرتها ، وأسرتها أسرته

أيضا . واذا كانت العلاقة التى تكون من هـذا النوع فى النسب موجبة التحريم فى كثـير من الأحـوال ، فينبغى أن تكون كذلك الرضاعة فى هذه الأحوال »(١)

«ويشترط فى اللبن لكى يتحقق به التحريم شرطان:

أحدهما : يتعلق بكميته ومقداره .

والثانى : يتعلق بحالته ، وكيفية وصوله الى جوف الطفل .

فالشافعية والحنابلة يقولون: ان الرضاع لا يحرم، الا اذا كان خمس مرات .

والمالكية والحنفية يقولون : ان الرضـاع يحرم مطلقا ، قليلا أو كثيرا ، ولو قطرة »(٢) .

وفيما يتعلق بحالة اللبن الواصل الى جوف الطفل، ومدى اختلاطه بماء أو بطعـام ، أو تغيـير حالتـه وصفاته ، فقـد اختلف الفقهاء أيضا فى ذلك ، عـلى التفصيل التالى :

---

(١) الأحوال الشخصية للمسلمين ـ محمد أبو زهرة ص ٩١ .

(٢) بتصرف من الفقـه على المذاهب الأربعـة جـ ٤ ص ٢٥٦ .

١ ــ اذا وصل اللبن الى الطفل عن طريق الحقنة :

قال الحنفية ومالك وأحمد : انه اذا وصـــل اللبن بحقنة من القبل أو الدبر ، فانه لا يؤدى الى التحريم لأنه ليس برضاع ، وليس بمغذ فى هـــذه الحالة ، لأن اللبن لا يصل الى موضع الغذاء الذى هو المعـــدة ، وبالتالى فلا يحصل به نبـــات اللحم ونشـــوز العظم واندفاع الجوع •

أما الشافعى ، فيرى أنه يؤدى الى التحريم ، لأنه سبيل يحصل بالواصل منه الفطر ، فتعلق به التحريم كالرضاع(١) •

٢ ــ اذا عمل اللبن جبنا أو مصلا أو أصبح رائبا :

يرى أبو حنيفة أنه أيضا لا يقع به التحريم ، لأن اسم الرضاع لا يقع عليه ، وأنه لا يكتفى به الصبى فى الاغتذاء •

---

(١) بتصرف من بدائع الصـــنائع جـ ٥ ص ٢١٨٢ ، المغنى لابن قدامة جـ ٧ ص ٥٣٩ ، الفقـه على المذاهب لأربعة جـ ٤ ص ٢٦١ •

أما الشافعى ، فيرى أنه يثبت به التحريم ، وقــد آيد المغنى رأى الشافعى ، لأن اللبن وصل للطفل من الحلق فيحصل بــه انبات اللحم ، وانشــاز العظم ، فيؤدى الى التحـــــريم كما لو شربه (١) ، ويتفق الحنابلة مع الشافعية فى ذلك (٢) ٠

٣ ــ اذا اختلط اللبن بماء أو دواء أو بالدهن أوخلافه:

يرى الحنفية وأحمد وابن القاسم من المالكيــة أن اللبن اذا صار مغلوبا صار مستهلكا ، فلا يقــع بــه التغذى ، فلا تثبت به الحرمة ، فان كان اللبن غالبا ، تثبت به الحرمة ، وان كان الماء غالبا ، لا تثبت به ٠

وعند الشافعى وابن حبيب ومطرف وابن الماجشون من أصحاب مالك ، أنــه اذا قطر من الثدى مقــدار خمس رضعات فى جب ماء ، فسقى منه الصبى تثبت به الحرمة ، ووجه قولــه ان اللبن وصــل الى جوف الصبى بقدره وفى وقته(*) ٠ فتثبت الحرمة ، كمــا

---

(١) المراجع السابقة ٠
(٢) الفقه على المذاهب الاربعة جـ ٤ ص ٢٦١ ٠
(*) أى فترة الرضاعة ٠

اذا كان اللبن غالبا ، ولا شك فى وقت الرضاع ، والدليل على أن القدر المحرم من اللبن ، وصل الى جوف الصبى ، أن اللبن وان كان مغلوبا ، فهو موجود شائع فى أجزاء الماء ، وان كان لا يرى فيوجب الحرمة (١) ، كما يتفقون على أن اللبن لو اختلط بالماء، تقع به الحرمة بمنزلة ما لو انفرد اللبن ، أو كان مختلطا لم تذهب عينه .

وسبب الاختلاف بين الحنفية والشافعية وغيرهم، هو اختلاف رأيهم فيما اذا كان « يبقى للبن حكم الحرمة اذا اختلط بغيره ، أم لا يبقى به حكمها ، كالحال فى النجاسة اذا خالطت الحلال الطاهرة ؟(٢).

٤ ـ اذا اختلط اللبن بطعام :

يرى أبو حنيفة أن اللبن ان مسه النار ، حتى نضج.

---

(١) بدائع الصنائع جـ ٥ ص ٢١٨٢ ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ـ بن رشد جـ ٢ ص ٤١ .

(٢) بتصرف من بدائع الصنائع للكاسانى ص ٢١٨٢ ، المغنى لابن قدامة جـ ٧ ص ٥٣٩ ، فقه السنة جـ ٢ ص ٥٨ .

لم يحرم لأنه تغير عن طبعه بالطبخ ، أما ان لم تمسه النار فان كان الغالب هو الطعام ، لم تثبت به الحرمة، وان كان اللبن غالبا للطعام ، وهو طعام يستبين ، لا تثبت به الحرمة فى قول أبى حنيفة ، وعند أبى يوسف ومحمد تثبت : ووجه قولهما أن اعتبار الغالب والحاق المغلوب بالعدم ، أصل فى الشرع ، فيجب اعتبار ما أمكن : كما اذا اختلط بالماء ، أو بلبن شاة ، ولأبى حنيفة أن الطعام وان كان أقل من اللبن، فانه يسلب قوة اللبن : لأنه يرق ويضعف ، بحيث يظهر ذلك فى حس البصر : فلا تقع الكفاية به فى تغذية الصبى ، فكان اللبن مغلوبا معنى وان كان غالبا صورة « (١) .

٥ ـ اذا اختلط اللبن بلبن نسوة أخريات :

لو اختلط لبن امرأة بلبن امرأة أخرى ، فالحكم الغالب منهما فى قول أبى يوسف، وروى عن أبى حنيفة كذلك ، وعند محمد تثبت الحرمة منهما جميعاً ، وهو قول زفر .

---

(١) بدائع الصنائع جـ ٥ ص ٢١٨٣ .

وجه قول محمد أن اللبن من جنس واحد ،والجنس لا يغلب الجنس ، فــلا يكون خلط الجنس بالجنس استهلاكا ، فلا يصير القليل مستهلكا فى الكثير ،فيغذى الصبى كل واحد منهما بقدره ، بانبات اللحم ،وانشاز العظم ، أو سد الجوع ، لأن أحدهما ، لا يسلب قوة الآخر •

والدليــل عــلى أن خلط الجنس بالجنس لا يكون استهلاكا له ، أن من غصب من آخر زيتا فخلطه بزيت آخر ، اشتركا فيه ، فى قولهم جميعــا ، ولو خلطــه بسيرج أو بدهن آخر من غير جنسه ، يعتبر الغالب ، فان كان الغالب هو المغصوب ، كان لصاحبه أن يأخذه، ويعطيه قسط ما اختلط بزيته ، وان كان الغالب غــير المغصوب ، صار المغصوب مستهلكا فيه ، ولم يكن له أن يشاركه فيه ، ولكن الغاصب يغرم له مثل ماغصبه• فدل ذلك عــلى اختــلاف حــكم الجنس الواحــد ، والجنسين •

وأبو يوسف اعتبر هــذا النــوع من الاختلاط ، باختلاط اللبن بالماء ، وهناك الحكم الغالب كذاههنا ، ولمحمد : أن يفرق بين الفعلين ، فان اختلاط اللبن بما

هو من جنسه ، لا يوجب الاخلال بمعنى التغـذى من كل واحد منهما بقدره ، لأن أحـدهما لا يسـلب قوة الآخر ، وليس كـذلك اختلاط اللبن بالمـاء ، واللبن مغلوب لأن الماء يسـلب قوة اللبن أو يخـل بـه ، فلا يحصـل التغـذى ، أو يختل به والله عز وجل أعلم »(١) •

أما ابن قدامة فقد أشـار الى أنـه « ان حلب من نسوة ، وسقيه الصبى ، فهو كما لو ارتضـع من كل واحدة منهن ، لأنه لو شيب بماء أو عسل ، لم يخرج عن كونه رضـاعا محرما ، فكـذلك اذا شـيب بلبن آخر »(٢) •

مما سبق يتضح أن الفقهاء يتفقـون على أن الرضاع ، مرة واحدة أو عددا معينا من الرضاعات فى زمن رضاعة الطفل ـ أى خلال حولين من ولادته ـ يؤدى الى ثبوت الحرمة •

انما حدث الخلاف فيما اذا وصل اللبن الى جسم

---

(١) بدائع الصنائع جـ ٥ ص ٢١٨٣ •
(٢) المغنى لابن قدامه جـ ٧ ص ٥٣٩ •

الطفل عن طريق جوفه أو عن طريق آخر ، كما حدث خلاف بينهم عند وصول اللبن للطفل عن طريق الحقنة فى الدبر أو القبل ، كما اختلفوا عند عمل اللبن جبنا ، أو أصبح رائبا ؛ أو اذا اختلط بمـاء ، أو دواء ، أو دهن ، أو بطعام.

ويمكن القول أن الحنفية يميلون الى الحكم بالحرمة فقط ، اذا تمت الرضاعة باللبن عن طريق المعدة ، ولم تتغير حالته بتصـنيعه جبنا مثلا ، أو اضـافة ماء أو سوائل أو أطعمة أخرى اليـه ، بحيث يصـير اللبن مغلوبا .

أما الشافعية ، فيرون أن وصول اللبن الى الطفل ، قدر خمس رضعات مشـبعات ، يؤدى للتحـريم ، « ولا ينظر فى هذا الى قليل رضاعه ولا كثـيره ، اذا وصل الى جوفه منه شىء ، فهو رضـعه ... »(١) ويثبت التحريم سواء عمل اللبن جبنـا ، أو أصـبح رائبا ، أو اختلط بماء ، أو طعام ، أو غيره .

---

(١) كتاب الأم للشافعى جـ ٥ ص ٢٧ .

وفيما يتعلق بفقهاء المالكية والحنابلة ، فان آراءهم تميل أحيانا الى رأى الحنفية وأحيانا أخرى تميل الى رأى الشافعية ، وفقا للتفصيل السابق الاشارة اليه.

أما اذا اختلط اللبن بلبن امرأة أخرى ، أو نسوة أخريات ، فان الخلاف يقتصر على وقوع الحرمة من الجميع ، أو من صاحبة اللبن الغالب .

بنك اللبن

ثار الكلام فى الفترة الأخيرة عن مشروع يدعو الى انشاء « بنك للبن الأمهات » ، على غرار « بنك الدم »، يقوم بتجميع لبن الأمهات وتجفيفه ، ثم تعبئته بعد ذلك ، وبيعه للناس فى معلبات ، مثل معلبات الألبان التى تباع حاليا للأطفال .

وقد يظن البعض أن تجفيف لبن الأمهات ثم اضافة كثير من الماء اليه بعد ذلك ، عند اعداد الرضعة للطفل ، يؤدى الى غلبة الماء على اللبن ، مما لا يجعله سببا للتحريم ، مستندين فى ذلك الى آراء بعض الفقهاء ، التى أشرنا اليها فيما سبق ، ولكن هناك **اعتراضات عديدة على هذا المشروع ، تتمثل أولا فى جدواه ، ثم ثانيا فى الحرمة الشديدة التى سيؤدى** اليها وتتلخص فيما يلى :

١ — أن كل أم بعد ولادتها يرزقها الله اللبن الكافى لتغذية طفلها أو أطفالها ، والتصرف فى كمية من هذا اللبن ، ستؤثر بلا شك على نصيب طفلها ، وبخاصة اذا أخذ هذا التصرف صفة الدورية .

٢ ــ أن الدولة التى ستقوم بهذا المشروع : سوف تلجأ الى تشجيع المتبرعات باللبن ، بالمال ، ولن تلجأ المتبرعة الى ذلك الا لحاجتها الى المال ــ كما هو مشاهد حاليا عند المتبرع بالدم ــ وغالبا ما ستكون هذه الألبان قليلة القيمة الغذائية ، وقد لا تحتوى على العناصر التى تحقق الغذاء الأمثل للطفل .

٣ ــ أن مص اللبن من ثدى الأم بمعرفة الطفل ، هى الطريقة المثلى التى لا تحقق للأم أى ألم ، أو مجهود يؤدى الى اجهادها ، أما أداء ذلك بمعرفة آلات ، أو شىء من هذا القبيل سيؤدى بالتأكيد الى استنزاف صحة الأم ، واجهاد للغدد التى تفرز اللبن، واهانة لكرامة المرأة .

٤ ــ أن قيام الرجال بالعمل على الحصول على اللبن من الأم ، يخالف الشرع لأنه ــ فى هذه الحالة ــ ليست هناك ضرورة طبية أو خلافها ، ليطلع الرجال على عورات النساء .

٥ ــ أن تجفيف لبن الأمهات ، ما هو الا تعريض اللبن للحرارة ، ليفقد الماء الذى به على هيئة بخار ماء ، وتبقى باقى المواد التى يحتوى عليها اللبن ،

وعند الاستعمال مرة أخرى يضاف اليه كمية من الماء. حتى يتمكن الطفل من تناوله سائلا ، ومن ذلك يتبين أن المواد التى يتكون منها اللبن باقية وحصل التغذى للطفل بها •

٦ ــ أن ما تكلم عنه بعض الفقهاء : من عدم حرمة اللبن الذى أضيف اليه الماء ، بحيث أصبح الماء غالبا، انما يقصدون لبن الأم بحالته الطبيعية ، عند وضعه فى كمية كبيرة من الماء ، بحيث يفقد اللبن شكله ولونه المعروف ، ويأخذ السائل حكم الغالب عليه ، أما تجفيف اللبن ، ثم اضافة الماء اليه ، ففيه حفاظ على كافة العناصر التى يحتوى عليها اللبن ، فيصبح اللبن بتركيزه الأصلى ، أو قريبا منه •

٧ ــ أن حرمة النسب بالرضاع ، انفردت به الشريعة الاسلامية، لحكمة أرادها الله العزيز الحكيم، ويترتب على ثبوت الحرمة ، حرمة الزواج بين المرضعة والطفل ، وكذلك أصولها وفروعها ، وباقى القرابات التى تحرم بالنسب ، لقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» ومخالفة ذلك أمر خطير ، يترتب عليه اقامة

علاقات غير شرعية بين الرجل والمرأة ، كما أن الأولاد من هذا الزواج ، سيكونون أولادا غير شرعيين •

قد يختلف الفقهاء فى أمور أخرى ، ولا غبار على الناس أن يتبعوا هذا الرأى أو ذاك ، فالكل فى نطاق الشريعة الاسلامية ولكل دليله ، وأبواب الفقه عامرة بالخلافات الفقهية بين الفقهاء ، ولكل فقيه أتباعه الذين يلتزمون باجتهاد فقيههم ، وليس هناك غبار على ذلك ؛ انما يختلف الأمر كلية فيما يتعلق بموضوعنا هذا ، اذ أن قياس فكرة (بنك اللبن) على ما ذكره بعض الفقهاء من عدم حرمة اللبن ، الذى يغلب عليه الماء أو يتحول الى طعام أو غير ذلك ، قياس مع الفارق ، وفقا لما سبق أن ذكرنا ، علاوة على خطورة اتباع الرأى الذى يجيز « بنك اللبن » للحرمة الشديدة التى يمكن أن يؤدى اليها ، نتيجة الزيجات غير الشرعية •

٨ ــ أنه يجب عدم اغفال آراء الفقهاء الذين رأوا ثبوت الحرمة بين المرضعة والرضيع ــ حتى لو اختلط اللبن بغيره ــ وبخاصة أن الخلاف وقع بين بعض فقهاء الحنفية أنفسهم فى بعض الأمور •

٩ ـ أنه لا خلاف بين الفقهاء علـى حرمة اللبن الذى يختلط بلبن نسوة أخريات، ولكن اقتصر الخلاف ـ كما ذكرنا ـ على أن الحرمة هل تكون علـى اللبن الغالب فقط ، أو على جميع الألبان المختلطة معـه ؟ وهذا يؤكد أن فكرة « بنك اللبن » سيكون فيها حرمة على رأى جميع الفقهاء •

١٠ ـ أنه لو تم التوسع فى تنفيذ فكرة « بنك اللبن » ، بحيث تسمح بالاستيراد أو التصدير ، فان ذلك سيؤدى الى زيادة نطـاق الحرمة بين الناس ، بحيث لا تقتصر على بلد واحد ، بل ستتوسع الي كافة البلاد التى سيقع بينها تداول هذه الألبان •

١١ ـ أن انتشار فكرة « بنك اللبن » سيؤدى الى ارضاع الأطفال المسلمين من لبن أمهات مشركات، أو من ديانات أخرى ، أو من أمهات ذات طباع غيـر حسنة ، وقد ورد عن الصحابة والصـالحين كراهية ذلك ، ومن ذلك ما جاء فى المغنى :

« كره أبو عبد اللـه الارتضـاع بلبن الفجـور والمشركات ، وقال عمربن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز رضى الله عنهما :

اللبن يشتبه فلا تسترق من يهودية ولا نصرانية ولا زانية ، ولا يقبل أهل الذمة المسلمة ، ولا يرى شعورهن ، ولأن لبن الفاجرة ربما أفضى الى شبه المرضعة فى الفجور ، ويجعلها أما لولده فيتعير بها ويتضرر طبعا وتعيرا ، والارتضاع من المشركة يجعلها اما لها حرمة الأم مع شركها ، وربما مال اليها فى محبة دينها ، ويكره الارتضاع بلبن الحمقاء كيلايشبهها الولد فى الحمق ، فانه يقال ان الرضاع يغير الطباع والله تعالى أعلم »(١) ٠

١٢ — كما ذكر الفخر الرازى عند تفسيره ، لقوله تعالى ، على لسان قوم السيدة مريم :

« يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا » ٠٠ الى قوله تعالى : « قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا » (٢) ٠

---

(١) المغنى لابن قدامه ، جـ ٧ ص ٥٦٢ ٠
(٢) سورة مريم ، الآيات من ٢٨ الى ٣٠ ٠

قال الفخر الرازى : ان قول عيسى عليه السلام : انى عبد الله ، « يفيد ازالة التهمة عن الأم ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يخص الفاجرة ، بولد فى هذه الدرجة العالية والمرتبة العظيمة » (١) .

كما ورد فى الجامع لأحكام القرآن ، أن قتادة قال : « ذكر لنا أن عيسى عليه السلام رأته امرأة يحيى الموتى ، ويبرىء الأكمه والأبرص فى سائر آياته ، فقالت : طوبى للبطن الذى حملك ، والثدى الذى أرضعك ؛ فقال لها عيسى عليه السلام : « طوبى لمن تلا كتاب الله تعالى ، واتبع مافيه ، وعمل به » (٢) .

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى حـ ٢١ ص ٢٠٩ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ــ للقرطبى جـ ١ ص ١٠٥ .

خاتمة

بعد استعراضنا السابق لأهمية الرضاعة الطبيعية للطفل ، ينبغي علينا أن نعطى هذا الموضوع الأهمية القصوى التى يستحقها ، وأن نحرص دائما على أن نرضع أطفالنا من ألبان أمهاتهم ، وألا نلجأ الى بدائل أخرى ، طبيعية أو صناعية الا للضرورة القصوى ، لأنه من المعروف ، أن الضرورات تبيح المحظورات .

ونود أن نشير الى أن علماء الدين والطب يحرصون دائما على بيان أهمية الرضاعة الطبيعية لأنها الأفضل للطفل ، وذلك فى مختلف الندوات والمؤتمرات التى تعقد لهذا الغرض ، ومن ذلك المؤتمر العلمي الأول لجمعية أصدقاء لبن الأم المصرية(١) ، فقد تضمنت كلماتهم النصائح والحقائق التالية :

« ان الرضاعة الصناعية ان لم تفتك بالطفل وتودى بحياته فانها سوف تقضى بالحتم بانتاج أطفال دون المستوى الصحى الطبيعي الذى سوف يمتد حتما الى

---

(١) المنعقد فى القاهرة من ٢٨ ـ ١٩٨٥/٣/٢٩ م .

شبابهم وسنوات انتاجهم » (١) •

ــ ان الثورة الحقيقية التى تحقق الصحة والحياة للطفل تقوم على دعائم أربعة وهى :

١ ــ الرضاعة الطبيعية •

٢ ــ الارواء عن طريق الفم •

٣ ــ التطعيمات المختلفة ضــد الأمراض الســتة المعروفة •

٤ ــ تتبع نمو الطفل •

فان الرضــاعة الطبيعية تعتبر الدعامة الأولى فى هذا المجال (٢) •

ــ « يكشف العلم الحــديث على مر السنين فوائد جديدة للبن الأم كنا نجهلها فى الماضى وهذا يدل على

---

(١) من كلمة ا . د احمد مصطفى عيسى أستاذ طب الأطفال بجامعة الأزهر •

(٢) من كلمة الشيخ الحسينى هاشم امين عام مجمع البحوث الاسلامية ووكيل الأزهر الشريف •

قدرة الله سبحانه وتعالى وعلى واجبنا فى اطاعة تعاليمه فى أن تعطى الأم ثديها لرضيعها » (١) ٠

كما أوصى المؤتمر بعدة توصيات طبية وتعليمية واجتماعية نشير الى اهمها فيما يلى (٢) :

ــ أهمية التدريس للطالبات فى المدارس الثانوية والاعدادية عن الرضاعة الطبيعية وفوائدها ٠

ــ خلق رأى عام بواسطة الاعلام بين الناس وبخاصة المتزوجين حديثا حول أهمية الارضاع الطبيعى والمحافظة على صحة الأم والجنين ٠

ــ الاهتمام بمراكز رعاية الأمومة وتزويدها بالنشرات التعليمية الصحية حول التغذية السليمة للأم وللطفل والمحافظة على صحتهما ٠

---

(١) من كلمة ٠أ٠ د٠ فؤاد البحيرى رئيس قسم طب الأطفال بجامعة الأزهر ٠

(٢) الرضاعة الطبيعية ـ المؤتمر العلمى الأول لجمعية أصدقاء لبن الأم المصرية ٢٨ ، ٨٥/٣/٢٩ ـ القاهرة ٠

ـ الاهتمام بالأم المرضع العاملة بمنحهـا اجازة طويلة للارضاع بأجر أو تقليل ساعات العمل بالنسبة لهـا •

ـ نشر الـوعى الطبى بين المـارسين العاملين والمرضات والدايات والأمهات حول أهمية الاستمرار فى الرضاعة الطبيعية وبخاصة أثناء حالات الاسهال •

ـ نشر المعلومات الطبية الخاصـة بأن الرضـاعة الطبيعية من أهم وسائل منع سرطان الثـدى وكذلك رجوع الرحم للحجم الطبيعى وعدم السمنة والترهل وتساعد على عودة الأم الى رشاقتها •

ـ الاتصال برجال الدين وأئمة المسـاجد للدعوة بين الأمهات العاملات والمجتمع لتشـجيع الرضـاعة الطبيعية والعمل على تنشئة داعيات اسلاميات للقيام بهذا النشاط بين الأمهات •

ـ الاهتمام بالأسرة كوحدة متكاملة والمحافظة على القيم الاجتماعية والأسرية والدينية وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن الرضاعة الطبيعية بالنسبة للأم والطفل والأسرة والمجتمع •

كما ينبغى أن نولى موضوع التحريم بالرضاع الأهمية التى يستحقها ، لأنه يحرم بالرضاعة ما يحرم من النسب ، وفقا لما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وعدم تحرى الحلال ، وعدم تجنب الحرام فى هذا الموضوع ، يؤدى الى مفاسد عظيمة أشرنا اليها ، ندعو الله ـ سبحانه ـ أن يجنبنا اياها ، وأن يرينا الحق حقا ، ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه ، انه سميع الدعاء ، وانه على كل شىء قدير .

المراجع

القرآن الكريم

تفسير

الجامع لأحكام القرآن الكريم ـ للقرطبى ـ مطبعة دار الكتب المصرية •

ـ التفسير الكبير ـ للفخر الرازى ـ دار الكتب العلمية ـ طهران ـ الطبعة الثانية •

ـ تفسير ابن كثير ـ مطبعة دار احياء الكتب العربية •

أحاديث

ـ شرح صحيح البخارى ـ للكرمانى طبعة المطبعة المصرية ١٩٣٣م •

ـ صحيح مسلم ـ دار احياء الكتب العربية ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى •

ـ المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناشر د• ونسنك •

لغة

ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ مجمع اللغة العربية ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والطبع والنشر .

فقه

ـ الأم ـ للشافعي ـ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

ـ المغنى ـ لابن قدامة .

ـ بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ـ علاء الدين الكاسانى .

ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد ـ ابن رشد ـ مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .

ـ الفقه على المذاهب الأربعة ـ عبد الرحمن الجزيرى ـ دار الارشاد للتأليف والطبع والنشر .

ـ فقه السنة ـ السيد سابق ـ دار التراث العربى .

ـ الأحوال الشخصية ـ محمد أبو زهرة ـ دار

الفكر العربى ــ عام ١٩٥٧م •

ــ الأحوال الشخصية (حقوق الأولاد والأقارب) محمد الحسينى حنفى •

ــ تحفة المودود بأحكام المولود ــ ابن قيم الجوزية ــ المكتبة القيمة •

طب

ــ بحث غير منشور للدكتور أحمد مصطفى عيسى رئيس جمعية أصدقاء لبن الأم المصرية وأستاذ طب الأطفال بجامعة الأزهر عن أهمية الرضاعة الطبيعية •

ــ manulal of Pediatrics أ د • فؤاد البحيرى ــ أ•د• كمال الدوينى ــ أ•د• المهدى الباسوسى • الطبعة الثالثة فبراير ١٩٨٢ •

ــ pediatrics أ•د• أحمد محمد العباسى طبعة ١٩٨١ •

ــ رعاية الأم والطفل ــ د• زكى شعبان ــ د• اسماعيل صبرى ــ د• ابراهيم مجذى •

ـ مجلة الفيصل الطبية ـ جامعة الملك فيصل بالسعودية ـ العدد الثامن •

ـ مجلة طب الأطفال المصرية ـ العدد الثانى ١٩٨٤م •

ـ الرضاعة الطبيعية ـ المؤتمر العلمى الأول لجمعية أصدقاء لبن الأم المصرية المنعقد يومى ٢٨ ، ٢٩ مارس ١٩٨٥م •

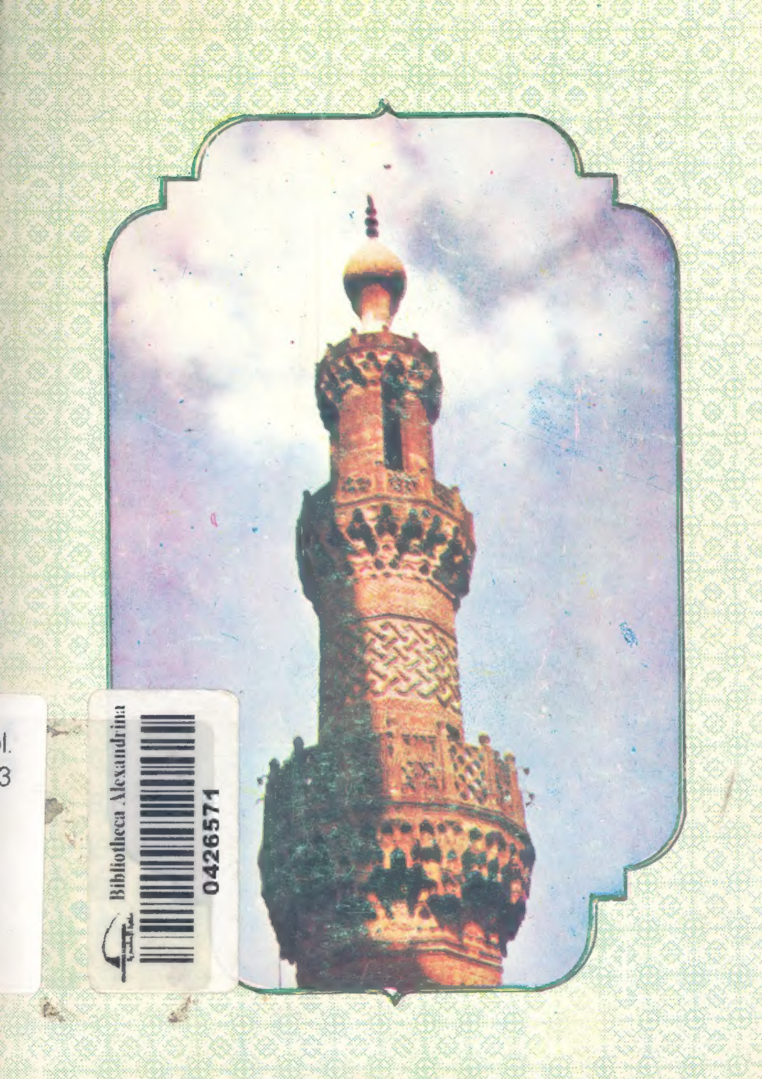
الفهـــــرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رابعا لبن الأم ودوره فى تحريم الزواج :


مؤسسة
روزاليوسف


Bibliotheca Alexandrina
04265571